والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه الصلوة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه
عليه الصلوة والسلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق
بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلوة والسلام
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة
البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم السورة
التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها
البطلة قيل يا رسول وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتان آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة
عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولك
واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها
على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم
روي انه عليه الصلوة والسلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب
القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع
الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى
عليهما السلام واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان
ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربية وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان
والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح
كقراءة الباقين من قبل اي من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون

بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما • وانزل الفرقان • يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة
بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق
به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا
لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل
او المعجزات • ان الذين كفروا بآيات الله • من كتبه المنزلة وغيرها • لهم عذاب شديد
بسبب كفرهم • والله عزيز • غالب لا يمنع من التعذيب • ذو انتقام • لا يقدر على مثله منتقم
والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة
الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه • ان الله لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء • اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه
بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان
المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله • هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء • اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم
باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته • لا اله الا هو
اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله • العزيز الحكيم • اشارة الى كمال قدرته
وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب
عن شبههم • هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات • احكمت عبارتها بان حفظت
من الاجمال • هن ام الكتاب • اصل يرد اليها غيرها والقياس هن امهات فافرد على
تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة • واخر متشابهات • محتملات لا يتضح
مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم
على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها



وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما
قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله
كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى
وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه تعرفه لان معناه ان يعرف
ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن آخر من • فاما الذين في قلوبهم زيغ •
عدول عن الحق كالمبتدعة • فيتبعون ما تشابه منه • فيتعلقون بظاهره او بتأويل
باطل • ابتغاء الفتنة • طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة
المحكم بالمتشابه • وابتغاء تأويله • وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي
الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني
يلائم الجاهل • وما يعلم تأويله • الذي يجب ان يحمل عليه • الا الله والراسخون في العلم •
اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه
كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل
القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد • يقولون آمنا به • استئناف
موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ • كل من عند ربنا • اي كل
من المتشابه والمحكم من عنده • وما يذكر الا اولوا الالباب • مدح للراسخين بجودة الذهن
وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي
الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها
في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته القاها
الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور
الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور
لا يكون اب المصور • ربنا لا تزغ قلوبنا • من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى

لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم
بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا
ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب
على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة
تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك
انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما
ينعم على عباده ولا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزاء يوم
لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من
الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية
تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب
بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة
وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا
العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته
على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل
وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لن تغني عن اولئك او توقد
بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر
والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم
عطف على آل فرعون وقيل استئناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال
باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد
العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم

جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك
لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله
وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل
النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه
وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم
قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة
تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد
المشركين وكانوا قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك
كان بعدما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم
حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلثة
امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم
ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل
التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما
ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي
السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما وتحقق وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم
لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات
اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها
كقوله تعالى احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه
ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من
اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين

المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك
ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة
المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل
والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي
المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة
الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان
ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها
بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله وقرأ عاصم
بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او
باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا
واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون
ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح
منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة
والاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل
واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر
يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة
الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة
اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم

وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان
العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون
الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب
الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان
بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط
مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله تعالى وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد
وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو والعامل معنى
الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل
وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على
البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد
والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم
العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل
شهد وقد روي في فضلها انه عليه الصلوة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله
ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل
علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى
اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه
وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني
واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في
دين الاسلام وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلث

النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى عليه السلام اختلفوا بعده وقيل
هم النصارى اختلفوا في امر عيسى عليه السلام • الا من بعد ما جاءهم العلم • اي بعد ما علموا
حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج • بغيا بينهم • حسدا بينهم وطلبا
للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر • ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب •
وعيد لمن كفر منهم • فان حاجوك • في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج • فقل اسلمت
وجهي لله • اخلصت نفسي لله وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت
به الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة
ومظهر القوى والحواس • ومن اتبعن • عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه • وقل
للذين اوتوا الكتاب والاميين • الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب • أأسلمتم • كما اسلمت
لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله تعالى فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة
او المعاندة • فان اسلموا فقد اهتدوا • فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال •
وان تولوا فانما عليك البلاغ • اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت •
والله بصير بالعباد • وعد ووعيد • ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم • هم اهل
الكتاب الذين في عصره قتل اولهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة و
يقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر •
اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة • كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه
لا يغير معنى الابتداء بخلافهما • وما لهم من ناصرين • يدفع عنهم العذاب • الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب • اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير
النصيب يحتمل التعظيم والتحقير • يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم • الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب

الله القرآن او التورية لما روي انه عليه الصلوة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم عليه السلام فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا
فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم
على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول
ثم يتولى فريق منهم • استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب • وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة • ذلك
اشارة الى التولي والاعراض • بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات • بسبب تسهيلهم
امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ • وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد
يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم • فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية
ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمرهم
الى النار • ووفيت كل نفس ما كسبت • جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان
المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها واذا هي بعد
الخلاص منها • وهم لا يظلمون • الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان • قل اللهم
الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع
همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته •
مالك الملك • تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع
الوصفية • تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء • تعطي منه ما تشاء من تشاء وتسترد
فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم
وتعز من تشاء وتذل من تشاء • في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان

بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي
بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام
وقع فيه اذ روي انه عليه الصلوة والسلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا
يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان
مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون معه وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة
كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب
الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور
الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا
بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي
من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان
قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر
على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق
وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي
من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوانات من النطفة
والنطفة من الحيوان وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم
الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين
اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك
اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء اي من ولايته في شيء ان يسمى ولاية فان موالاة

فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك
عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء
والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم
ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة وان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام
كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه
بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر
النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل
ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها
ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه
قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها
فلا تجسروا على عصيانه اذ ما معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه يوم منصوب بتود اي تتمنى
كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم
وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء ولا
يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع
معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرر للتوكيد والتذكير والله
رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة اصلاحهم او انه لذو مغفرة
وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى
الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما
يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة

طاعة والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرضى عنكم
ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر
ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه
روي انها نزلت لما قال اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح
حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من
العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل فلا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه
الجهة ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما
اوجب طاعة الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل
على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران
موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم ابنة عمران بن
ماثان بن آسفار بن ابي يوذان بن تابل بن سلبان بن يوحنا بن اوشا بن آموز بن ميكش بن حاز بن
اجاز بن يونام بن عزريا بن يوزام بن سافط بن ايشا بن راجيم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عوبد
بن سلمون بن باعز بن عمناد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وكان بين
العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهم ومن نوح
اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع
على الواحد والجمع فعيلة من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء و
ادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع
بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني ونصب به اذ

اي قوله سميع عليم

وقيل

وقيل نصب باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكان لعمران بن يصهر بنت اسمها
مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان و
تزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا
فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي
نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك
عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا
محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته
انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما
في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها
بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت
ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو
استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب
وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على
خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت
واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فيكون اللام للجنس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا
اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه
دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها
من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا
والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود
بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها رضي

بالنذرة • بقبول حسن • بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلّمها عقيب ولادتها
قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها بخرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند
الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان
بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا
سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز
ان يكون على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبّل بمعنى استقبل كتقضّى وتعجّل اي فاخذها
في اول امرها حين ولدت بقبول حسن • وانبتها نباتا حسنا • مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع
احوالها • وكفلها زكريا • شدّد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش
على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفّف الباقون ومدّوا
زكريا مرفوعا • كلما دخل عليها زكريا المحراب • اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به
لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس • وجد عندها رزقا • جواب كلما وناصبه
روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج قفل واغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وبالعكس • قال يا مريم انّى لك هذا • من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة
عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه • قالت هو من عند الله •
فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة • ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب • بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله
روي ان فاطمة رضي الله تعالى عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمّي يا بنية
فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انّى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من
يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل
بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعته على جيرانها • هنالك دعا زكريا ربه • في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا
وثمّ وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله • قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة • كما و

كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال
رب هب لي من لدنك • لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة • انك سميع الدعاء • مجيبه • فنادته
الملائكة • اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالامالة
والتذكير • وهو قائم يصلي في المحراب • اي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر او حال اخر او حال من الضمير في قائم •
ان الله يبشرك بيحيى • اي بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرأ
حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل • مصدقا بكلمة من الله •
اي بعيسى عليه السلام سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل
كلمة الحويدرة لقصيدته • وسيدا • يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية •
وحصورا • مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما
للعب خلقت • ونبيا من الصالحين • ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة • قال رب
انّى يكون لي غلام • استبعاد من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه • وقد بلغني الكبر •
ادركني كبر السن واثّر فيّ وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون • وامرأتي عاقر • لا تلد
من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد • قال كذلك الله يفعل ما يشاء • اي يفعل ما يشاء من العجائب
مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق
الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف
اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له • قال رب اجعل لي آية • علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر
وتزيح مشقة الانتظار • قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام • ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس
عن كلامهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب
ما اشتق من السؤال • الا رمزا • اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل
والمراد بالكلام ما دلّ على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى
مترامزين كقوله متى تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا • واذكر ربك كثيرا • في ايام الحبسة

وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال
الى الغروب وقيل من العصر او المغرب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر
واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر
الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة
لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها
انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها
وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامة السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل
وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها
مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب
او ليقترن اركعي مع الراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة
كقوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه
وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان معرفة طريق الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم
فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم
اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة
بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك
لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة
كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة
او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف
لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس

جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له عما سواه
ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب
اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من
كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن
المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته او رفعه الى السماء وصحبته للملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا
اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل
انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية ومن
الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر
تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل
او الله وجبريل حكى لها قول الله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه كما يقدر ان يخلق الاشياء
مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام
مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها
والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم
منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة
مضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم
انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على
هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل
فيكون طيرا باذن الله فيصير طيرا حيا بامر الله نبه به على ان الحياة من الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص
الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه
عيسى وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من
جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وتدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها

إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين موفقين للإيمان فإن غيرهم لا ينتفع بالمعجزات أو مصدقين
للحق غير معاندين. ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على رسولا على الوجهين أو منصوب بإضمار
فعل دل عليه قد جئتكم أي وجئتكم مصدقا ولأحل لكم مقدر بإضمار أو مردود على قوله إني قد جئتكم بآية
أو معطوف على معنى مصدقا كقولك جئتك معتذرا ولأطيب قلبك. بعض الذي حرم عليكم أي في شريعة موسى
كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الإبل والعمل في السبت وهو يدل على أن شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولا يخل
ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فإن النسخ في الحقيقة بيان
وتخصيص في الأزمان. وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم أي جئتكم بآية أخرى ألهمنيها ربكم وهي قولي إن الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض
والظاهر أنه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم والأول لتمهيد الحجة والثاني
لتقريبها إلى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله أي لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله
في المخالفة وأطيعوني فيما أدعوكم إليه ثم شرع في الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل فقال إن الله ربي وربكم إشارة
إلى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه إشارة إلى استكمال القوة
العملية فإنه ملازمة الطاعة التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بأن بين أن الجمع بين الأمرين
هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت بالله ثم استقم. فلما أحس عيسى منهم الكفر تحقق
كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس. قال من أنصاري إلى الله ملتجئا إلى الله أو ذاهبا أو ضاما إليه ويجوز أن يتعلق
الجار بأنصاري متضمنا معنى الإضافة أي من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله في نصرتي وقيل إلى ههنا بمعنى مع أو في أو اللام
قال الحواريون حواري الرجل خلاصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن سمي
أصحاب عيسى عليه السلام به لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل
قصارون يحورون الثياب أي يبيضونها نحن أنصار الله أي أنصار دينه آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون
لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم. ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا
مع الشاهدين أي مع الذين يشهدون بوحدانيتك أو مع الأنبياء الذين يشهدون لأتباعهم أو مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم

فإنهم شهداء على الناس. ومكروا أي الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة
ومكر الله حين رفع عيسى وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث إنه في الأصل حيلة يجلب بها
غيره إلى مضرة لا يسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة والازدواج. والله خير الماكرين أقواهم مكرا وأنفذهم
على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب. إذ قال الله ظرف لمكر الله أو خير الماكرين أو لمضمر مثل وقع ذلك. يا عيسى
إني متوفيك أي مستوفي أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصما إياك من قتلهم أو قابضك من الأرض من توفيت مالي
أو متوفيك نائما إذ روي أنه رفع نائما أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت وقيل أماته الله سبع ساعات
ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهب النصارى. ورافعك إلي إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي. ومطهرك من الذين كفروا
من سوء جوارهم أو قصدهم. وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة يعلونهم بالحجة أو السيف في
غالب الأمر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى وإلى الآن لم تسمع غلبة لليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك
ودولة. ثم إلي مرجعكم الضمير لعيسى عليه السلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين. فأحكم بينكم فيما
كنتم فيه تختلفون من أمر الدين. فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من
ناصرين. وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم تفسير الحكم وتفصيله والله لا يحب الظالمين
تقرير لذلك. ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى عليه السلام وغيره وهو مبتدأ وخبره. نتلوه عليك وقوله من الآيات
حال من الهاء ويجوز أن يكون الخبر ونتلوه حالا على أن العامل معنى الإشارة وأن يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر
يفسره نتلوه. والذكر الحكيم المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع عن تطرق الخلل إليه يريد به القرآن وقيل اللوح. إن
مثل عيسى عند الله كمثل آدم إن شأنه الغريب كشأن آدم. خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له شبه
وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم شبه حاله بما هو أغرب إفحاما للخصم وقطعا لمواد
الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب. ثم قال له كن أي أنشأه بشرا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر أو قدر تكوينه
من التراب ثم كونه ويجوز أن تكون ثم لتراخي الخبر ويكون حكاية حال ماضية. الحق من ربك خبر محذوف أي هو
الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره أي الحق المذكور من الله. فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
على طريقة التهييج لزيادة الثبات أو لكل سامع. فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم

اى من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأى والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس
لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح
اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه
بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله
لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم
فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى
خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا
الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية الفى حلة
حمراء وثلثين درعا من حديد وقال عليه الصلوة والسلام والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم
عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من
اهل بيته ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملته خبر ان وهو فصل يفيد ان ما ذكر فى
شان عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان
تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم
وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض
عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين
وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب
وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا
له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فلا نقول عزير
ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بشر مثلنا روى

روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم يا رسول الله ما كنا نعبدهم قال
اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا
اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به
الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى فى هذه القصة من المبالغة والارشاد وحسن التدرج فى الحجاج
بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم
فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد
عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب
ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغنى عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون
يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى
فى ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية
حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم عليه السلام قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين
فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس
لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى
مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التورية والانجيل
عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر فى كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين
وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم
حيث وقع بالمد من غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمزة من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمزة والبزى يقصر المد على اصله
والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى
ما قرر من البرهان ولكن كان حنيفا مسلما مائلا عن العقائد الزائغة منقادا لله وليس المراد به انه كان على
ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح
ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولى

وهو الغريب. للذين اتبعوه من امته وهذا النبى والذين آمنوا لموافقتهم له فى اكثر ما شرع لهم على
الاصالة وقرئ وهذا النبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولى المؤمنين
ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم. ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة
وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود
وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او وما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره
بهم. يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته فى الكتابين وتعلمون بالمعجزات انه الحق. يا اهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى التمييز بينهما وقرئ تلبسون
بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبى زور وتكتمون الحق
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه. وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى
انزل على الذين آمنوا وجه النهار اى اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون
واكفروا به آخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار
ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنى عشر من احبار خيبر تقاولوا
بان يدخلوا فى الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى
ورد فى التورية لعل اصحابه يشكون فيه. ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل
دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم. قل ان الهدى هدى الله
يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه. ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك
وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم
الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدى بطائل او خبر ان على ان

هدى الله

ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول اى
ألأن يؤتى احد دبرتم وقرئ إن على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
وقولوا لهم لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم. او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين
وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه فى معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم
قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وا
بطال لما زعموه بالحجة الواضحة. ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشى
الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه. ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشى
آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب عليهم
الخيانة. الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة البينة
ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل اى ليس علينا
فى شأن من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم. ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم
يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم فى التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا
من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شىء فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة
الى البر والفاجر. بلى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل. من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين
استئناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء
الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى. ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما
حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم
الله بما يسرهم او بشىء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه
كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة مجاز عن سخطه على غيره واستهانه به اعرض عنه وعن

وقرأ ابو عمرو وحمزة يؤده اليك بسكون

عامل بنا

التكلم معهم والالتفات نحوهم كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب
اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات
وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به
وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا
يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف
او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير
ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم و
بيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد
النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك
بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا
ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول
كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم
والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون
من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير
بما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب
عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة
نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفاءه

الكفاءة اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال ايامركم بالكفر
انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين وامهم
واستغنى بذكرهم عن الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي
وثقه الانبياء على امهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم
كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ
الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرا حمزة
لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق
لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرا نافع اتيناكم بالنون
والالف تفخيما وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات
الثلاث استثقالا قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم
وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على
بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد
وهو تاكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتاكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون
من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره
ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو و
في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها
اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق
والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا
عما قضي عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل

على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلى الله عليه وسلم
بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب
الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى
لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل علينا على المنزل على سائر الانبياء لانه المعرف له و
العيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته
ومن يبتغ غير الاسلام دينا اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
اى الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع وواقع في الخسران بابطال الفطرة
السليمة التى فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول
كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال
بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى
الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج
عن حقيقة الايمان والله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع
الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
يدل بمنطوقه على جواز لعنهم ومفهومه ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون
عن الهدى ايسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق
والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها اى في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرها لدلالة الكلام
عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اى من بعد الارتداد واصلحوا
ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل
عليه قيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا

بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا
كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه بالتظاهر به لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون
الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين
من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم
الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية
ادخل الفاء هنا للاشعار به وملء الشئ ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء
او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم فدية ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا او
يراد كثيرا لان المثلين في حكم شئ واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل
منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر
اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما
تحبون اى من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روى
انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى الى بيرحى فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال
رابح او رائج وانى ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه الصلوة والسلام ان الله قد
قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شئ اى من اى شئ
محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اى المطعومات والمراد اكلها كان حلا

الجز ٤

لبني اسرائيل حلا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه الصلوة والسلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدع على الله الكذب بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال مسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل اول من بناه آدم عليه السلام فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم عليه السلام بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه و

ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم مبتدأ محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون آثار سائر الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلوة والسلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه الصلوة والسلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما التجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن يلجأ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج البيت بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح

بعد بها موتشنيع وتكرير للرد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما
يدل على المقت والخذلان وذكر عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان
والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات
والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب
عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر. قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله
اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب
دليل على ان كفرهم قبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون
والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار. قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن
سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين
مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين
ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله
ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا
ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف
كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنه ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون
باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون
به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل
عما تعملون. يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين. نزلت في
نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا
من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك للاوس ففعل فتنازع القوم
وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف

والف بينكم فعلموا انها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم
واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم. وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله
انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك
بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة. يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم
كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر و
يذكر فلا ينسى وقيل هو ان يتنزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد
للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن
الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او
غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا
بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان
التمسك به سبب النجاة عن التردي كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي والوثوق به والاعتماد عليه
الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم
كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل
الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال الغل
اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقابلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين
على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب
مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله بالاسلام والف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار
مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام
والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها

كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذف في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله
آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه
لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية
اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا
اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله
كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي
وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون
بكمال الفلاح روي انه عليه الصلاة والسلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم
والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام
والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما
عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص
بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب فله اجران
ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور
بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول
اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعدما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر
في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت

واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن
وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن
قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد
كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك
بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه
ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع
الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعده كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى
وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل
ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه
قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه
الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا
على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه
منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها
واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى
اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه
يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا
بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود
خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا
الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال

الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدينه الاسلام او اتباع سبيل المؤمنين ۝
وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب
على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق
مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا
يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها
يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو
مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب
من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم
الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات
الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه الصلاة والسلام
اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة
غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر
لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته
واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي
الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وقرأ حفص وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير
فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك
كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان والله عليم بالمتقين بشارة لهم
واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها
هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء او خوفا وهذه

في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به
او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط
اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا
والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل
مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم
بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف
الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه
الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار
من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم
لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم
لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة
وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم
وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص
وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات
على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء
الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائكم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم
كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة
خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم
قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا
الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله

لما لم ينفقوا بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم انفسهم ظلموا

حتى يهلكوا به ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول
أي قل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك
ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم
وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا
بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للإصابة ﴿وإن تصبروا﴾ على عداوتهم أو على مشاق التكاليف
﴿وتتقوا﴾ موالاتهم أو ما حرم عليكم ﴿لا يضركم كيدهم شيئا﴾ بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن
المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للإتباع كضمة مُدُّ وقرأ
ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ﴿إن الله بما يعملون﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما
﴿محيط﴾ علما فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ بالتاء أي بما تعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه ﴿وإذ غدوت﴾
أي واذكر إذ غدوت ﴿من أهلك﴾ من حجرة عائشة رضي الله عنها ﴿تبوئ المؤمنين﴾ تنزلهم أو تسوي وتهيئ لهم
ويؤيده القراءة باللام ﴿مقاعد للقتال﴾ مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان
على الاتساع كقوله تعالى ﴿في مقعد صدق﴾ وقوله تعالى ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ ﴿والله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾
بنياتكم روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد دعا عبد الله بن أبي ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار أقم
يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها علينا
إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم إلى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام رأيت في المنام بقرة مذبوحة حولي
فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة
فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا
وبالغوا حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي
لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت ونزل في عدوة

الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفهم وأمّر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا
من ورائنا ﴿إذ همت﴾ متعلق بقوله سميع عليم أو بدل من إذ غدوت ﴿طائفتان منكم﴾ بنو سلمة من الخزرج وبنو الحارثة
من الأوس وكانا جناحي العسكر ﴿أن تفشلا﴾ أي تجبنا وتضعفا روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج في زهاء ألف رجل
ووعدهم النصر إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلاثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم
عمرو بن حزم الأنصاري وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهمّ الحيان باتباعه فعصمهم
الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أنها ما كانت عزيمة لقوله ﴿والله وليهما﴾ أي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة
ويجوز أن يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على
غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمي به ﴿وأنتم أذلة﴾ حال من الضمير وإنما قال أذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال
وقلة المراكب والسلاح ﴿فاتقوا الله﴾ في الثبات ﴿لعلكم تشكرون﴾ ما أنعم عليكم بتقواكم من نصره أو لعلكم ينعم الله عليكم
فتشكرون فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سببه ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من إذ غدوت على
قولهم يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ إنكار أن لا يكفيهم ذلك
وإنما جيء بلن إشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر
أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزّلين بالتشديد للتكثير
أو للتدريج ﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد لن أي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية
لقلوبهم فقال ﴿إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم﴾ أي المشركون ﴿من فورهم هذا﴾ من ساعتهم هذه وهو في الأصل
مصدر فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم أطلق للحالة التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى إن يأتوكم في الحال
﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة﴾ في حال إتيانهم بلا تراخ ولا تأخير ﴿مسومين﴾ معلمين من التسويم الذي
هو إظهار سيماء الشيء لقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت أو مرسلين من التسويم بمعنى الإسامة
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو ﴿وما جعله الله﴾ وما جعل إمدادكم ﴿إلا بشرى لكم﴾ الآية

بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه
على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة
الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل
بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان
كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع فينقلبوا خائبين فينهزموا
منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك
امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد
مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم
او تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء
الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم وروي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله
لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له
والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر بالدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة
لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الوقائع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى
يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون
راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار
بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا
من المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل على عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا
واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو

وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريق التمثيل
لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم
وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب
او مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة
اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه
مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت راسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على
انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء من امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين
يحتمل الجنس فيدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون اشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح
كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة
ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم
بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى
بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا
على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من
يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها خبر للذين ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون
ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين
جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات
المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله
وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين
لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل

شبه بن لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم
قال ما عاين الناس فضلا مثل فضلكم ولا ارى مثلكم في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت
او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيان للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر
المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا
تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون
وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان
وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم
بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله
او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف
والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد
فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا ولا تجبنوا فانكم ترجون
من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم
وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم لهؤلاء وكرة لهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء
ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها
يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها
ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل
المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثال ذلك ونظائره نقابعه
ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء
وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم

منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف
ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا
لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدائرة عليهم ويمحق الكافرين
ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ولم تجاهدوا والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على
ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال
كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب
للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة
فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون
اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا
وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو
كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه
بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه
فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت
محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله فانحاز
اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا
من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم
انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه
ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه
فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه

وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئة تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى
في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون عنه ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال
ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له
اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين
حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون
وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط
على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأين ثم حذفت
الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون
علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون
بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم
من قتل النبي صلى الله عليه وسلم او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن
من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب
من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم والله يحب الصابرين فينصرهم
ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف
الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو
ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة
النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم
بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن

بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم
فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل
ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفار والنزول على حكمهم فانه يستجر الى
موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية
غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا
من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا
وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي
ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على
اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة
اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ
والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة
فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من
ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا هنا وقال
الآخرون لا نخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله
وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم
من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول صلى الله عليه وسلم
ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها
ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو
في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر
كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا تقفون

احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخريكم في
ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى
فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول
صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد
فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة
وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي فآساكم في الاغتمام فاغتم
بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا
ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة
نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف
يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول
وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة
وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم وطائفة اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي
بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم
في الهموم او ما بهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة
او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق
ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر
ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء
او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب
الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع
على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون

طالبون للنصرة مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون
او استيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه
او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا او لما قتل من قتل منا
في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل
وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها
في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها
من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او
لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين
المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني
ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا لترك
المركز والحرص على الغنيمة والحيوة بمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم فمنعوا التأييد وقوة القلب لمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل استزلال
الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم
وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم
لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها
وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا
على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعل حسرة
في قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله
انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم

اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين
كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله
ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع
ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم
على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة
تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ حمزة ونافع والكسائي بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة
للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك
فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه
استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على
شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله
كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد
خذلانه او من بعد الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا
اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله صح
ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم
يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه وسلم عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء
فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة و
قالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض
المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى

والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما
جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت يعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله
ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال
مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون اي جزاء فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد عذاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله
بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير
يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب
او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين
انعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن منّ الله
على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه
بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه الصلاة والسلام كان من
اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلوا عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم
من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد
اصبتم مثليها الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم
كذا وقلتم ولما ظرف المضاف الى اصابتكم اي احين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها
يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم
من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله تعالى عنه
باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم
يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا
لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم

وتحيرتم بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين
فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسرهم قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم
عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة
منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما
يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا
رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم كقوله
على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال
بتقدير قد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه
فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا
للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب او الى الذين قتلوا
والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين
بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة
لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة
ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم
اي بالذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من
امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع
محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى

بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما
روى ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى
قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال
لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد
لمن تمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتأكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف
ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وتنكيرها للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر
على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم
بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا
سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج
في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية
اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا
فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد القيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه
الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر
لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب
في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم
ابن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم
في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده
لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر

قال أو للفاعل إن أريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد
إيمانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا
يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر إن جعل
الطاعة من جملة الإيمان وكذا إن لم يجعل فإن اليقين يزداد بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله
محسبنا وكافينا من أحسبه إذا كفاه ويدل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفاً في قولك هذا رجل حسبك
ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الإيمان وزيادة فيه
وفضل وربح في التجارة فإنهم لما أتوا بدراً وافوا بها سوقاً فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو
واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم
وإصابة النفع مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به
إنما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيماً أو أبا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لتشيطنه أو صفة وما
بعده خبر ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي إنما ذلكم قول الشيطان يعني إبليس يخوف أولياءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس
الثاني على الأول وإلى الأولياء على الثاني وخافون في مخالفة أمري فجاهدوا مع رسولي إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان
يقتضي إيثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعاً حرصاً عليه وهم المنافقون
من المتخلفين أو قوم ارتدوا عن الإسلام والمعنى لا يحزنك خوف أن يضروك ويعينوا عليك لقوله إنهم لن يضروا الله شيئاً
أي لن يضروا أولياء الله بمسارعتهم في الكفر وإنما يضرون بها أنفسهم وشيئاً يحتمل المفعول والمصدر يريد الله ألا يجعل لهم
حظاً في الآخرة نصيباً من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الإرادة إشعار بأن كفرهم بلغ الغاية حتى أراد
أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته وأن مسارعتهم في الكفر لأنه تعالى لم يرد بهم أن يكون لهم حظ في الآخرة
ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم
تكرير للتأكيد أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين أو ارتد من الأعراب ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي

لهم خير لأنفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من يحسب والذين مفعول وأنما نملي لهم بدل منه وإنما اقتصر على مفعول
واحد لأن التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو المفعول الثاني على تقدير مضاف
مثل ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وما مصدرية
فكان حقها أن تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الإمام فاتبع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب
بالياء على أن الذين فاعل وأن مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والإملاء الإمهال
وإطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وإنما نملي لهم ليزدادوا إثماً
استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الإرادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ إنما بالفتح هنا وبكسر الأولى
ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم بل للتوبة والدخول في الإيمان وإنما نملي لهم
خير اعتراض معناه أن إملاءنا خير لهم إن انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز أن يكون
حالاً من الواو أي ليزدادوا إثماً معداً لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق
من المخلص بالوحي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأحوالكم أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا الخلص
المخلصون منكم كبذل الأموال والأنفس في سبيل الله ليختبر النبي به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب
من كفر وإيمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليه فآمنوا بالله
ورسله بصفة الإخلاص أو بأن تعلموه وحده مطلعاً على الغيب وتعلموهم عباداً مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يقولون
إلا ما أوحي إليهم روي أن الكفرة قالوا إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي
أنه عليه الصلاة والسلام قال عرضت علي أمتي وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون إنه يزعم أنه يعرف
من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وإن تؤمنوا حق الإيمان وتتقوا النفاق فلكم أجر عظيم
لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء
قدر مضافاً ليطابق مفعوليه أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم وكذا من قرأ بالياء إن جعل الفاعل ضمير الرسول

او من تحسبن وان جعل الوصل كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم
بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلوة والسلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله شجاعا اقرع في عنقه يوم
القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله او انه يرث منهم ما
يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء
خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله روي انه عليه السلام كتب
مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا ما بيننا
من العهد لضربت عنقك فشكاه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه
اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في
علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه
تنبيه على انه ليس باول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول ذوقوا عذاب
الحريق وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع
يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره هٰهنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك
على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال
ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر
اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل
المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله
عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن حتى يأتينا بهذه
المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي

وفي نسخة بالانبياء

تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر
المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام
بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى عليهما السلام بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب
للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا
على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من
تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما
يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر
من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت
وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما
توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية
يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز
بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها
وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على
الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم
بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض
والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم
والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا
للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم
الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي

على الشيء نحو امضاه. وإذ أخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين أوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه
للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأه ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب
القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا
اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه
واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واغراضها فبئس ما يشترون يختارونه لانفسهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
على اهل العلم ان يعلموا. لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله
فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بالياء في الاول وضما في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده
وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم
تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه الصلاة والسلام سأل اليهود عن شيء
مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم
تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم
ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة. ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم
والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير. ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي
العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه
الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل
والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل

لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على
الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر
الله وقيل معناه يصلون على الهيآت الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين صل قائما فان
لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهو حجة الشافعي في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه
الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه. ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات
كما قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل
مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه
فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله. ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون
قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في
معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود
الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدل على معرفتك ويحث على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في
جوارك. سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض. فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه
والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك
والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع
وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم
النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر. ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه
على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن والدعاء
والنداء ونحوهما تعدى باللام والى لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص. ان آمنوا بربكم فآمنا اي آمنوا
بان آمنوا فامتثلنا. ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا

فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم
وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب
واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله
بما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور
في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان تعلق على بالمحذوف وتقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم
وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة
المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على
استقلال المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم
اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر
على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما
من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء
مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة
ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم
والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم
بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني
افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير
لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم
بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعة قادر عليه
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله
فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة
والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم

وتجاراتهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما
نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر
مدته في جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه الصلوة والسلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم
فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر
الضبي كنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها
الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما
يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل
في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي
لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني
لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل المحرفون
من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون
اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط
والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا
على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب
واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيص بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم و
خيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلوة والسلام من الرباط انتظار الصلوة بعد
الصلوة وعنه عليه الصلوة والسلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام رمضان وقيامه لا يفطر
ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا
غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات
... الموجبة
للتزكية والتطرية والتحلية

ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها
بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا
على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء وهي مائة وسبعون وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام وخلق منها
زوجها عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاعه أو محذوف
تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء واتقوا الله بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين
وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكون أكثر وذكر كثيرا
حملا على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها
أن تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق
أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو
خالق وباث الذي تساءلون به أي يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فأدغمت
التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر
عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره
والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه
وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله إن الله كان
عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى أموالهم أي إذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي
مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة إما على أنه جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب

وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على أنه جمع يتمى كأسرى لأنه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى وأسارى
والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورده في الآية إما للبلغ على
الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس
منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم صغارا أو لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم إذا بلغوا ويؤيد
الأول ما روي أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت
فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا
الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الأمر الخبيث وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها أو
ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا أموالهم
إلى أموالكم ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم أي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك
حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف إنه الضمير للأكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما
وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء أي إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب
من غيرهن إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد
ولا يقدر على القيام بحقوقهن أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا أن
لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقه لأن المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج الذنوب
كلها على ما روي أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن
فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم إن خفتم أن لا تعدلوا في
أمر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وإنما عبر عنهن بما ذهابا إلى الصفة أو إجراء لهن مجرى غير
العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أو ما ملكت أيمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة أي
إن خفتم أن تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن أعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاث وثلاث
وأربع وأربع غير منصرفة للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن كانت أصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل

فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح
يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقسموا هذه البدرة درهمين
درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت
باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة
فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم
واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري
لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري
ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول
الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا
مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا
كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة
الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن
مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة و
بضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا
اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع
اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن
ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة
من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب
للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور موليتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
الضمير للصدقات حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة لقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق
اراد كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من

من الصداق عن طيب نفس لمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب
فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من
غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان
والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف
الاموال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد
ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ما في ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا
بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون
وتتعيشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ
قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم
وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى
اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه
مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ
بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلوة والسلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه
واقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده
فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم
من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء
وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل
على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة
معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد

ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا لمسرفين ومبادرين كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي
وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله
وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى
فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد للخصومة ووجوب الضمان وظاهره
يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا
محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل
نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا او على الاختصاص
بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن
صامت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة
ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب
ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما
يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى
يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان
واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم
تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير
لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى
فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم
او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او

او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا
اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية
ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا
عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب
لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية
بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الاخر ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او
لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى
النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه الصلاة والسلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم
فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى
حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم
الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد
كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله
والتنبيه على ان التضعيف كاف في التفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به
فان كن نساء اي فان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات
فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه
المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على كان التامة
واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما

الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك
ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين
وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اى لابوى الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير
العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيد السدس
مما ترك ان كان له اى للميت ولد ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقى من ذوى
الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب
لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا
ينبغي ان يكون لها حيث كان معهما احد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس
فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة
فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن
ابن عباس انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير
اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تحجب الام من الثلث ما دون
الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها
من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدم من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان
من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان
على القسمة مجموعين او منفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة
على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد
آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم
في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد
المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع اليه بشفاعته او من يوصي منكم منهم (margin: [illegible] عن ابن عباس)
ام من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر

القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض
عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن
لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل
ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد
فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزوج ضعف ما للمرأة
كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة
وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اى الميت يورث اى يورث منه من ورث صفة
كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها
قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد
ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني
مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة
فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها الموروث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك
فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه
اخ او اخت اى من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في آخر السورة
ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها
فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة
لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه
بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة
بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى
على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير
مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه

بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره
حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه
التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين
توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة
كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما
جريا على غير من هما له واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها
اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن
اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها
سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن
في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن
ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا
كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان ياتيانها منكم يعني الزاني والزانية وقرأ ابن كثير
واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل
بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء واعرضوا بالاغماض والستر
ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة
الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله
اي قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها
سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون
من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل
توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في

قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب
الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به
وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب
التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين
يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر
في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل
المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم
عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعداد لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من
العتاد وهو العدة وقيل اصل اعتدنا اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول او
زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها بصداقها فنهوا عن ذلك
وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي
كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل الضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق
يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى
يرثوا منهن ويختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين
بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له
تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا ان ياتين بفاحشة
وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن
بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح في الدين واكثر خيرا وقد تحب ما هو

بخلافه ولكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة
وتزوج اخرى وآتيتم احداهن احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا
فلا تأخذوا منه شيئا اي من القنطار أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي أتأخذونه
باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم
المأثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه
الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك
فسر هنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة
ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم
في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه
اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف
استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ
للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل
آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة
عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم
ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم
ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل في قوله حرمت عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك
وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة

وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك
قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة
نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد
الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل
وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاع لان لها لحمة كلحمة النسب
ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به
لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة
للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها
بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا
جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم
فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها
واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة
للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن
وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة
واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطا والامهات والربائب بنا ولان القريبة والبعيدة
وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنى كالوطء بشبهة او ملك يمين و
عن ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا
للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم
احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة
غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان

وعن علي رضي الله عنه احرمتهما آية واحلتهما آية يعني بهما هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم
وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام
الا غلب الحرام. الا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله ان الله
كان غفورا رحيما. والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد
في جميع القرآن غير هذا الحرف لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين
ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن
ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله
وذات حليل انكحتنا رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق. وقال ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح
ولم تحل للسابي واطلاق الآية والحديث حجة عليه. كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم
هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل. واحل لكم عطف
على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت
ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع
والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها. ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء
ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز
ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل
الاشتمال. واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس
عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فان الغرض منه. فما استمتعتم به منهن من جماع
او عقد عليهن. فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع. فريضة حال من الاجور بمعنى
مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد. ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به
من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق
وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخ كما روي انه عليه السلام اباحها

اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة
وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتعها بما يعطى وجوزها
ابن عباس رضي الله تعالى عنه ثم رجع عنه. ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام
ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة. ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا
او بفعل مقدر صفة له المحصنات يعني الحرائر. فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر الآية
حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعل صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول
ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل
كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة
الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة
ونقصان حق الزوج. والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان
فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم
عن الاستنكاف منه ويؤيده. بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم عليه السلام ودينكم الاسلام
فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد
بانفسهن حتى يحتج به الحنفية. وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم
ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا
الى الظاهر. بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان. محصنات عفائف. غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح. ولا متخذات
اخدان اخلاء في السر. فاذا احصن بالتزويج وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة
وكسر الصاد. فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا ينتصف. ذلك
اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة
وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاماء. وان تصبروا خير لكم

[illegible]

اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلوة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور
لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم
ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قوله
قيل لها اسعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له
اى يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم
ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم
بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتوكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة
وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع
الشهوات واستحلال المحرمات ميلا عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة غير مستحل لها يريد الله ان
يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق
الانسان ضعيفا لا يصبر على الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس ثمان آيات في سورة النساء خير لهذه
الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به
ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اى ولكن كون
تجارة عن تراض منكم غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراضي
المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب وارفق لذوي المروات ويجوز ان يراد
بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون
تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع
كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص تاول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه
النبي عليه الصلوة والسلام او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذلها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد
بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من

من حيث انه سبب قوامها واستبقائها ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله
ان الله كان بكم رحيما اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد عليه السلام رحيما لما
امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما
افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها
للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة
مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب الصلى وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صاد عنه
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم
نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح
بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله
وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار عن الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة
اقرب منها الى سبع وقيل اراد هاهنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب
وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها
الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب
على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يكون يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا يرى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خواطره
التي لم يعد على غيره خطيئة فضلا عن يؤاخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع
كرامة وقرا نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية
كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهي
لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ
وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اى لكل احد
من الرجال والنساء فضل ونصيب بما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل من الله بالعمل لا بالحسد كما قال عليه الصلوة والسلام ليس
الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله

الوجبة للزيادة والنقص كالميراث واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد
وهو يدل على ان المنهي عنه هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو
وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة
جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك
على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي وفيه خروج
الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان
والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عاقدت
ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد
النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه
او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت
بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى
ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام
الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على
النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية
واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث
والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء
الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات
مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفوس والاموال

وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك
في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد
والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ
الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو
التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز
فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع
وقيل المضاجع المبايتة اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة
ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض
واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر
عليكم منكم على من تحت ايديكم وانه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم
او انه تعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان
لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليل او الفاعل
كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر
او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن
الاحوال واطلب للصلح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به
على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين
وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني
للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله
بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا

من الإشراك جليا أو خفيا وبالوالدين إحسانا وأحسنوا بهما إحسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة
واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب
أو دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد والذي لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام
الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام
وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف
وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر أو الضيف وما ملكت أيمانكم العبيد والإماء
إن الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم فخورا يتفاخر عليهم
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أي هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم إخفاء بكل ملامة وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع
المضمر إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل
والإخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار تنصحا لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم
الفقر وقيل في الذين يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس عطف على الذين
يبخلون أو الكافرين وإنما شاركهم في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق لا على ما ينبغي من حيث
إنهما طرفا تفريط وإفراط سواء في القبح واستجلاب الذم أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالإنفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن
الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على أن الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم لقوله تعالى إن المبذرين
كانوا إخوان الشياطين والمراد إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن يقرن بهم الشيطان
في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي وما الذي عليهم أو أي تبعة
تحيق بهم بالإيمان والإنفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف
ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه

وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطا فكيف إذا تضمن المنافع وإنما قدم الإيمان هاهنا
وأخره في الآية الأخرى لأن القصد بذكره إلى التخصيص هاهنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم إن الله
لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من
أجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم جزاؤه وإن تك حسنة يضاعفها
وإن تك مثقال الذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافة المثقال إلى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها
بحرف العلة وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا
على ما وعد في مقابلة العمل أجرا عظيما عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لأنه تابع للأجر مزيد عليه فكيف حال هؤلاء الكفرة
من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم والعامل في الظرف
مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء
الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل
المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا
الرسول لو تسوى بهم الأرض بيان لحالهم حينئذ أي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الأمر أو الكفرة والعصاة
في ذلك الوقت أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى أو لم يبعثوا ولم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء ولا يكتمون
الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون أن يسوى بهم
الأرض وحالهم أنهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روي أنهم إذا قالوا
ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرأ نافع
وابن عامر تسوى على أن أصله تتسوى فأدغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال
سويته فتسوى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون أي لا تقوموا إليها وأنتم
سكارى من نحو نوم أو خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة و
دعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم

يصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران
عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو النبيذ وقرئ سكارى بالفتح وسكرى
على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انه صفة للجماعة ولا جنبا عطف على قوله
وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد
والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا
الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة
لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري
سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا
كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز
عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد
له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج
الخارج من احد السبيلين واصل الغائط الموضع المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن
ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي
المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه
كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر
والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغني عن تفصيل
احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من
الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا
من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لا بد من
ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية
تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عليه الصلوة والسلام تيمم ومسح يديه الى

المرفقين والقياس على الوضوء دليل على ان المراد هنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك
يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين
معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة
يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشى
ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد
اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه
واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا
بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم
من الذين هادوا اي يحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم
يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما
يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا
قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت لصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه
او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها
من قولهم اسمع فلان فلانا اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها
وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين
استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا
لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه
ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا
قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه
او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنرد

على أدبارها من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعني الأقفاء أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو في
الآخرة وأصل الطمس إزالة الأعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل
معناه من قبل أن نغير وجوهاً فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإدبار أو نردها إلى حيث جاءت منه
وهي أذرعات الشام يعني إجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال إن المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل أن نطمس
وجوهاً بأن نعمي الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية إلى الضلالة أو نلعنهم
كما لعنا أصحاب السبت أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود
والضمير لأصحاب الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات أو للوجوه إن أريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الأول يدل
على أن المراد به مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال إنه بعد مترقب أو كان
وقوعه مشروطاً بعدم إيمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان أمر الله بإيقاع شيء أو وعيده أو ما حكم به وقضاه مفعولاً
نافذاً أو كائناً فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا إن الله لا يغفر أن يشرك به لأنه بت الحكم على خلود
عذابه ولأن الذنب لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك ما دون الشرك صغيراً كان
أو كبيراً لمن يشاء تفضلاً عليه وإحساناً والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى أن الله لا يغفر الشرك لمن لم يشأ وهو
من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل إذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض
لمذهبهم فإن تعليق الأمر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة
على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وأن صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً
ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول
يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم يعني أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه
وقيل ناس من اليهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن
إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها
بل الله يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من
حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلاً أو قولاً ولا يظلمون

بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق فتيلاً أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل
في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده وكفى به بزعمهم
هذا أو بالافتراء إثماً مبيناً لا يخفى كونه مأثماً من بين آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعو إليه
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشاً
على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا
حتى نطمئن إليكم ففعلوا والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو الذي لا خير فيه
فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود وغيره ويقولون للذين كفروا لأجلهم وفيهم هؤلاء
إشارة إليهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أقوم ديناً وأرشد طريقاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيراً يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها أم لهم نصيب من الملك أم منقطعة ومعنى الهمزة إنكار أن يكون
لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً أي لو كان لهم نصيب
من الملك فإذاً لا يؤتون أحداً ما يوازي نقيراً وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الإغراق في بيان شحهم فإنهم
بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى إنكار أنهم أوتوا نصيباً
من الملك على الكناية وأنهم لا يؤتون الناس شيئاً وإذاً إذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء
والإعمال ولذلك قرئ فإذاً لا يؤتوا بالنصب أم يحسدون الناس بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
أو العرب أو الناس جميعاً لأن من حسد النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم
على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازماً وتجاذباً على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة
والإعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأبناء عمه الكتاب
والحكمة النبوة وآتيناهم ملكاً عظيماً فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به
بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم ومنهم من صد عنه من أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن
آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين أمره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء أمرك وكفى بجهنم سعيراً

نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا
سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد
بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال
ليذوقوا العذاب اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة
لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين
آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم
على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا
فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده
كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم ايوم ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات
وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال
لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى على يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما
خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر عليا ان يرده ويعتذر
اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل اى وان تحكموا بالانصاف والتسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة
الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة
بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات
ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فى الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولى الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة
وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء
الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم
واولوا الامر منكم فى شئ من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف

المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول
بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف
الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس
ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت
بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك
ذلك اى الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم
آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا
فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى
فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك
فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق
حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى
الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه او تشبيها ب
الشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير
رايت المنافقين يصدون عنك صدودا وهو مصدر او اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السد انه
غير محسوس والسد محسوس ويصدون فى موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة
بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم
وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل
بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم
الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان

ويخلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك
وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم
ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء
وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ
في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره
المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل
وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا
مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان
واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا
وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له
ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة
وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتأكيد
القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما
اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من
حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل في الجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او
مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ نافع ويعقوب
ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرأ
عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم
الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم
والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا

ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول وطاعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد
تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت في
المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل
فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر
واستوف حقك ثم ارسل الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون
لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه
الى جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها موافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم
في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال
الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات
الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليه ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد
في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته
ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في درجة الاستدلال
والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون
كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون في العلم
الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك
رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن
كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال
ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت
ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل

فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت • ذلك • اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم
او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم • الفضل • صفته • من الله • خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى
الاشارة • وكفى بالله عليما • بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله • يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم
تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح • فانفروا
اخرجوا الى الجهاد • ثبات • جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا
على ثبين جبرا لما حذف من عجزه • او انفروا جميعا • مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي
اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات • وان منكم لمن ليبطئن • الخطاب لعسكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو
لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء
دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن
فان اصابتكم مصيبة • كقتل وهزيمة • قال • اي المبطئ • قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا • حاضرا فيصيبني
ما اصابهم • ولئن اصابكم فضل من الله • كفتح وغنيمة • ليقولن • اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة
للضمير على معنى من • كأن لم يكن بينكم وبينه مودة • اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو • يا ليتني كنت معهم فافوز
فوزا عظيما • للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم
لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا
وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل
انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من المثقلة
واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة
والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع • فافوز • نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع
على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت • فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالآخرة • اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او

الذين يشرونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم • ومن يقاتل في سبيل الله
فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما • وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم
قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى
يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين
وما لكم • مبتدأ وخبر • لا تقاتلون في سبيل الله • حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل • والمستضعفين •
عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف
اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله تعالى يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين عن ايدي
الكفار اعظمها واخصها • من الرجال والنساء والولدان • بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد
المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع
البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد • الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها
واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا • فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل
لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم
صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث
على حسب عمله • الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله • فيما يصلون به الى الله • والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم الى الشيطان • فقاتلوا اولياء الشيطان • لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان
ثم شجعهم بقوله • ان كيد الشيطان كان ضعيفا • اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به
فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه • الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم • اي عن القتال
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة • واشتغلوا بما امرتم به • فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله • يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ
ومنهم صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون

مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما
بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اى كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية
ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل
انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه فى انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضى والآخرة خير لمن اتقى
ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شىء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى
ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم فى بروج مشيدة فى قصور او حصون مرتفعة والبروج
فى الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة
شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد فى الآية اى ان تصبهم
نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل
محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله اى يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما كبهائم
لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكرون فيها فيعلمون ان القابض والباسط هو الله تعالى ما اصابك من حسنة
من نعمة فمن الله اى تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافى نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك
قال عليه الصلاة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك
لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله تعالى كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة
احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا ولا للمعتزلة
وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا

جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فى زور كلام وكفى بالله شهيدا
على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روى انه عليه الصلاة والسلام
قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد
الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ
عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر
اى امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت
طائفة منهم غير الذى تقول زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة
لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبنى لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما
فى المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحائفهم للمجازاة او فى جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل
المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله فى الامور كلها لا سيما فى شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك
منهم افلا يتدبرون القرآن يتأملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشىء ولو كان من
عند غير الله اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم
وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض الاخبار المستقبلة للواقع
دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره
هاهنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح واذا جاءهم
امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر
عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم
حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه اى لو ردوا ذلك
الامر والخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم الى رأيه والى رأى كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لعلمه اى لعلم تدبير ما
اخبروا به على اى وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون
اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى سمعوه منهم

منهم ونوقوا الارجاف بلاغ لعلمهم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل
الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب
لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب
وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل فى سبيل الله
ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد
وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عليه السلام دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت
فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اى لا نكلفك
الا فعل نفسك الا انا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك فى شانهم الا التحريض
عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعنى قريشا وقد فعل بان القى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا
من قريش واشد تنكيلا تعذيبا وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع
بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه الصلوة والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب
استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع
شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها فى القدر وكان الله على كل شىء مقيتا
مقتدرا من اقات على الشىء اذا قدر قال وذى ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا او شهيدا حافظا
واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه
فى السلام ويدل ذلك على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهى
النهاية واما برده مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام
عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك
فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك
لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام
مشروع فلا يرد فى الخطبة وقراءة القرآن والحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها ومنه قيل والترديد بين ان يحيى

المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل
للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب
وهو قول قديم للشافعى رحمه الله ان الله كان على كل شىء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو
مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة
او مفضين اليه او فى يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور
او للحساب لا ريب فيه فى اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون
احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم فى المنافقين فما لكم تفرقتم
فى امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج
الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم
وقيل نزلت فى المتخلفين يوم احد او فى قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا
الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عامل لكم كقولك ما لك قائما فى المنافقين حال من فئتين اى متفرقين
فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم
الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشىء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه
من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون
سواء فتكونون معهم سواء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
فى سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هى لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه
فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا اى جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين ينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربيكم والقوم هم خزاعة
وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلوة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين
عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم

كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور بأخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين أو أتى
الرسول صلى الله عليه وسلم وكف عن قتال الفريقين أو على صفة قوم وكأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم
كافين عن القتال لكم وعليكم والأول أظهر لقوله فإن اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على أنه صفة بعد صفة أو بيان
ليصلون أو استئناف حصرت صدورهم حال بإضمار قد ويدل عليه أنه قرئ حصرةً صدورهم وحصرات أو بيان
لجاؤكم وقيل صفة محذوف أي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر
الضيق والانقباض أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم أي عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
وألقوا إليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم
وقتلهم ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا
المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا إلى الفتنة دعوا إلى الكفر أو إلى قتال المسلمين
أركسوا فيها عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم وينبذوا إليكم العهد
ويكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فإن مجرد الكف لا يوجب نفي
التعرض وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم
ووضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطا ظاهرا حيث أذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شأنه أن يقتل
مؤمنا بغير حق إلا خطأ فإنه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أي لا يقتله في شيء من الأحوال إلا حال الخطأ
أو لا يقتله لعلة إلا للخطأ أو على أنه صفة مصدر محذوف أي إلا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء
منقطع أي لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد إلى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق
الروح غالبا أو لا يقصد محظوره كمن رمى مسلما في صف الكفار مع الجهل بإسلامه أو يكون فعل غير المكلف وقرئ
خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الأم لقي حارث بن زيد
في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة
مؤمنة والتحرير الإعتاق والحر كالعتيق الكريم من الشيء ومنه حر الوجه لأكرم موضع منه سمي به لأن الكرم في الأحرار واللؤم

والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة ودية مسلمة إلى أهله
مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني
أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فإن لم تكن فعلى بيت المال فإن لم يكن ففي ماله
إلا أن يصدقوا إلا أن يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي تجب الدية عليه أو يسلمها إلى أهله إلا حال تصدقهم عليه أو زمانه
فهو في محل النصب على الحال من القاتل أو الأهل أو الظرف فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
أي فإن كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية
لأهله إذ لا وراثة بينه وبينهم ولأنهم محاربون وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله
وتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم كفرة معاهدين أو أهل الذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية
ولعله فيما إذا كان المقتول معاهدا أو كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها
فصيام شهرين متتابعين فعليه أو فالواجب عليه صيام شهرين توبة منصوب على المفعول له أي شرع ذلك توبة
من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو على المصدر أي وتاب عليكم توبة أو حال بحذف مضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله
صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما أمر في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه
وأعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله أراد به التشديد إذ روي
عنه خلافه والجمهور على أنه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى وإني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا إما مخصوص بالمستحل له كما ذكره
عكرمة وغيره ويؤيده أنه نزل في مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا إليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتدا أو المراد بالخلود المكث الطويل
فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله سافرتم
وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لمن حياكم بتحية
الإسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير ألف أي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام أيضا لست مؤمنا
وإنما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح أي مبذولا له الأمان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي

هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم
كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها
دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة
في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء
وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر
من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
فلما لاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل
نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان
المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال
من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه
وقرأ نافع وابن عامر بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت
انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي
فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد
من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعدون في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط
منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه و
القاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع
المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة
لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على

القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحدة منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على
المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعليهما
كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من
الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله
وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاولون الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف
اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من
الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة
يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت على معنى ان الله توفي الملائكة انفسهم فيتوفونها
اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها
نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في
اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة
او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا لتركهم الواجب الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم
الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد
محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية
دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض
وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابراهيم ونبيه محمد صلوات الله وسلامه عليهما الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان
ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم
اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة

وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه ولا يهتدون سبيلا ولا يعرفون الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر
بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق
بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب
وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب
على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان
والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ
التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم
في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه
ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام اتم في السفر وان عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله
قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان
تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت
في الحضر فظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مأول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة
فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان
بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا
من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اي شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك
لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت
السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال
والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة
الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم

منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم
اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين
فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب
ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل
طائفة مرة كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان
يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم
الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة
يصلي بالاولى ركعة ثم يذهب هؤلاء وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلاته ثم تعود الى
وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتي الاخرى وتؤدي الركعة
بقراءة وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة
في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان
ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون
الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا
مهينا وعد للمؤمنين بالنصرة على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم
وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبير فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم
الصلاة اديتم وفرغتم عنها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا
اردتم اداء الصلاة واشتد الخوف فصلوها كيف امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى
جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلاة فعدلوا واحفظوا اركانها و
شرائطها واتوا بها تامة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها

عن او فارًّا في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء حال المسابقة والاضطراب في
المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا
في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم
وتقريع على التواني فيه فان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وانتم ترجون من الله من اظهار الدين واستحقاق
الثواب ما لا يرجون عدوهم فينبغي ان تكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا
تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالهم
وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر
سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين
اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى
الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يفعل بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين
اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت
ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه ان الله لا يحب
من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها
ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله وهو
احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم ولا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون
يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون
محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا
او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من

عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك
وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث
لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله
عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا
كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى
بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي لهمت
طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل
الى نفي تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازالك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك
وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضر
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما
اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة
او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف
كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هاهنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح
بين الناس او اصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر
ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما ادخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل
واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء
وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا ومن يشاقق
الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف
على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من
الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا
جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين

ويدل اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد
وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام
الى مبادي الاحكام. ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل
جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ
من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند
الله فنزلت. ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها
عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم
كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله. ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها
كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يكبر فانثى
شديد الازم ليس له ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات
والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه
اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط
حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا
على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو
لضمها همزة. وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها
وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام
امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها. لعنه الله صفة ثانية للشيطان. وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه
اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك
ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي

وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا
عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي
في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض
له في العطاء. ولاضلنهم عن الحق. ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب. ولآمرنهم فليبتكن آذان
الانعام يشققونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل و
نقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة. ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه وصورته او صفته ويندرج فيه ما قيل من
فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواطة والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله تعالى التي
هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا
لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا واتاه فعلا. ومن يتخذ الشيطان
وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته. فقد خسر خسرانا مبينا
اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار. يعدهم ما لا ينجز. ويمنيهم ما لا ينالون. وما يعدهم
الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه. اولئك
ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم
مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله. والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية
التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى
نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر. ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية
معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد
في تحصيله. ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون
ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى

بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب
مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار او قولهم ان كان الامر
كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي
انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك
اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة
الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها
وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى
ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور ونبه به على انه لا اعتداد به دونه
فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب
العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه
لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة
البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك السيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها
حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه
بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال
فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق
في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها
للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر
في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابنا ما
اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته
عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال

فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل هو من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل
السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم
فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة
فقال عليه الصلوة والسلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم
في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تعالى والى ما في
القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد
وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح
المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم ولا يجوز عطفه
على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم
في شأنهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول
كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت
همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن
او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن
طمعا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها
جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون
النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي يفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت
في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا
باضمار فعل اي ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة
في شأنهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها

نشوزا

توقع منه لما ظهر لها من المخائل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا
عن حقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا اى يتصالحا بان تحط له
بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا
على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا
من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان
انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما
والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه
فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغى اذا كرهها
او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها
الذى هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع
ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتى فيما املك فلا تؤاخذنى
فيما تملك ولا املك ولو حرصتم اى على تحرى ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على
المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التى ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبى
صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ
وان يتفارقا اى ان يتفارقا كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلوة من سعته غناه وقدرته
وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته
وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة
بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا
الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية بمعنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على

على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم
وتقواكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد
او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها
على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله
كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف
دل عليه الجواب ويأت باخرين ويوجد قوما اخرين مكانكم او خلقا آخر مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام
والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل انه
خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزلت
ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هى في جنبه كلا شئ او فعند الله
ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض
فيجازى كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته
شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم
بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم
ان يكن اى المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا
فيها ميلا وترحما فالله اولى بهما بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو
علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد
عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل
وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائى باسكان
اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى ان وليتم اقامة الشهادة

او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه. يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او
لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير
ونكفر بما سواه فنزلت. آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان
بذلك وداوموا عليه او آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض
كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس. وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح النون والهمزة والزاء
والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي. ومن يكفر بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء
من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه. ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى
ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوما تكرر منهم
الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا. اذ يستبعد منهم ان
يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان
لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم. بشر المنافقين
بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا
بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم. الذين يتخذون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين. ايبتغون عندهم العزة
ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين فلا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم. وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرئ نزل والقائم مقام
فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزئ بها حال من الآيات جيء بهما
لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بمعنى اذا
كان من يجالسها زانا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين
يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزئ بها. انكم اذا مثلهم في الاثم
لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في

القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين
والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او
الاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون. الذين يتربصون بكم
ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره
فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب
فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء
وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما
ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا
لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال. فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على
المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على
حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة. ان المنافقين
يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة. واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين
كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان. يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل
كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه. ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة
من يراه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها
فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم. مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين
مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا
واصل الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل
وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة. لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين
الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية. ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق
والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور. يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين

فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فإن موالاتهم دليل
على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهي الطبقة التي في قعر جهنم
وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام ثلث من كن
فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان فمن باب
التشديد والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون
بسكون الراء وهي لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه
الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به
وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين
وسوف يؤت المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم أيتشفى به غيظا او يدفع
ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي
الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى نفسه عنه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر
شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم
وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف
قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم
يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا
او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان
عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث للمظلوم على تمهيد
العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين
الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان
الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال

في الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم
هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو
يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره
بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين
الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط
سماوي على اللوح كما كانت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال
وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان
ما اقترحوه عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين
معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم ما
يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم
البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم
بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة
عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان
موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل
الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا وعلى ان
اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم
ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف
ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله

بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون الاية رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في
جاره وكفرهم بايات الله بالقران او بما جاء في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم
او في اكنة مما تدعون اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الايات
والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم
بعيسى عليه السلام معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف على
مجموع ما قبله ويكون تكرير ذلك الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقولهم على مريم
بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم
قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا
عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه
ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان
رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله شبهه عليه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده
والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة
وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله تعالى وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به
لا لقولهم هذا على حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول
او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا
على ان ثمه مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض
اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء رفع الى السماء وقال بعضهم
صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على
مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي

اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل
الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه وما علموه يقينا
كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت ذلك بعلمي يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه
بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية
وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله
ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون
لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم
وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء امن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال
فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة
حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين
سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب
وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا من سورة الانعام وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم
الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم
اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب
وامن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لا
اولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتاب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخين
او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفع لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله
واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم

اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرئ حمزة سيؤتيهم بالياء. انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي
كسائر الانبياء. واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان
وآتينا داود زبورا خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى
آخرهم والباقين اشرف الانبياء ومشاهيرهم وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور. ورسلا منصوب
بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسرنا. قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا
لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم
بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم. رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون
رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا. لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات
المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله
والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة. وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر
من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز. لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه
بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه
ولكن الله يثبته ويقرره. بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما
نشهد لك فنزلت. انزله بعلمه انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة
ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل
وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبله. والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان
يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم
بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا
وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره. ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد

قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه
ان الذين كفروا وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم. لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم
خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة
وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه. يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين
الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد
فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون
لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه. وان تكفروا فان لله ما في السموات
والارض يعني فان تكفروا فانه غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض
وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه. وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم. يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشده والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل
للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله. ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد. انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها. وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري
مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب. فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة
ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة
ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس
الحياة. انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصب كما سبق. انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما
سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يماثله ويتطرق اليه الفناء له ما
في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا. وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد
فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء وكاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه
لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك. ان يكون عبدا لله من ان يكون

عبد الله فان عبودیته شرف یتباهی به وانما المذلة والاستنکاف فی عبودیة غیره روی ان وفد نجران قالوا لرسول الله
صلی الله علیه وسلم لم تعیب صاحبنا قال ومن صاحبکم قالوا عیسی قال وای شیء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه لیس بعار
ان یکون عبد الله قالوا بلی فنزلت • ولا الملائکة المقربون • عطف علی المسیح ای ولا یستنکف الملائکة المقربون ان یکونوا
عبیدا واحتج به من زعم فضل الملائکة علی الانبیاء وقال مساقه لرد النصاری فی رفع المسیح عن مقام العبودیة وذلک
یقتضی ان یکون المعطوف اعلی درجة من المعطوف علیه حتی یکون عدم استنکافهم کالدلیل علی عدم استنکافه وجوابه ان
الایة للرد علی عبدة المسیح والملائکة فلا یتجه ذلک وان سلم اختصاصها بالنصاری فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار
التکثیر دون التکبیر کقولک اصبح الامیر لا یخالفه رئیس ولا مرءوس وان اراد به التکبیر فغایته تفضیل المقربین من الملائکة
وهم الکروبیون الذین حول العرش او من هو اعلی منهم رتبة من الملائکة علی المسیح من الانبیاء وذلک لا یستلزم فضل
احد الجنسین علی الاخر مطلقا والنزاع فیه • ومن یستنکف عن عبادته ویستکبر • ویترفع عنها والاستکبار دون الاستنکاف
ولذلک عطف علیه وانما یستعمل حیث لا استحقاق بخلاف التکبر فانه قد یکون باستحقاق • فسیحشرهم الیه جمیعا •
فیجازیهم • فاما الذین آمنوا وعملوا الصالحات فیوفیهم اجورهم ویزیدهم من فضله واما الذین استنکفوا واستکبروا فیعذبهم
عذابا الیما ولا یجدون لهم من دون الله ولیا ولا نصیرا • تفصیل للمجازاة العامة المدلول علیها من فحوی الکلام
فکانه قال فسیحشرهم الیه جمیعا یوم یحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابلیهم والاحسان الیهم تعذیب لهم
بالغم والحسرة • یا ایها الناس قد جاءکم برهان من ربکم وانزلنا الیکم نورا مبینا • عنی بالبرهان المعجزات وبالنور
القرآن ای جاءکم دلائل العقل وشواهد النقل ولم یبق لکم عذر ولا علة وقیل البرهان الدین او رسول الله صلی الله علیه وسلم
او القرآن • فاما الذین آمنوا بالله واعتصموا به فسیدخلهم فی رحمة منه • ثواب قدره بازاء ایمانه وعمله رحمة منه لا قضاء
لحق واجب • وفضل • احسان زائد علیه • ویهدیهم الیه • الی الله وقیل الی الموعود • صراطا مستقیما • هو الاسلام والطاعة
فی الدنیا وطریق الجنة فی الآخرة • یستفتونک • ای فی الکلالة حذف لدلالة الجواب علیه روی ان جابر بن عبد الله
کان مریضا فعاده رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال انی کلالة فکیف اصنع فی مالی فنزلت وهی آخر ما نزل فی الاحکام • قل
الله یفتیکم فی الکلالة • سبق تفسیرها فی اول السورة • ان امرؤ هلک لیس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترک • ارتفع
امرؤ بفعل یفسره الظاهر ولیس له ولد صفة له او حال من المستکن فی هلک والواو فی وله یحتمل الحال والعطف والمراد

بالاخت الاخت من الابوین او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا یکون عصبة والولد علی
ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غیر ابن عباس لکنها لا ترث النصف • وهو یرثها •
ای والمرء یرث اخته ان کان الامر بالعکس • ان لم یکن لها ولد • ذکرا کان او انثی ان ارید بیرثها یرث جمیع مالها
والا فالمراد به الذکر اذ البنت لا تحجب الاخ والآیة کما لم تدل علی سقوط الاخوة بغیر الولد لم تدل علی عدم سقوطهم
به وقد دلت السنة علی انهم لا یرثون مع الاب وکذا مفهوم قوله الله یفتیکم فی الکلالة ان فسرت بالمیت • فان کانتا
اثنتین فلهما الثلثان مما ترک • الضمیر لمن یرث بالاخوة وتثنیته محمولة علی المعنی وفائدة الاخبار عنه باثنتین
التنبیه علی ان الحکم باعتبار العدد دون الصغر والکبر وغیرهما • وان کانوا اخوة رجالا ونساء فللذکر مثل حظ
الانثیین • اصله وان کانوا اخوة واخوات فغلب المذکر • یبین الله لکم ان تضلوا • ای یبین لکم ضلالکم الذی من شانکم
اذا خلیتم وطباعکم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او یبین لکم الحق والصواب کراهة ان تضلوا وقیل لئلا تضلوا
فحذف لا وهو قول الکوفیین • والله بکل شیء علیم • فهو عالم بمصالح العباد فی المحیا والممات • عن النبی صلی الله علیه وسلم
من قرا سورة النساء فکانما تصدق علی کل مؤمن ومؤمنة وورث میراثا واعطی من الاجر کمن
اشتری محررا وبرئ من الشرک وکان فی مشیئة الله من الذین یتجاوز عنهم •

سورة المائدة مکیة وهی مدنیة وهی مائة وخمسون آیة

بسم الله الرحمن الرحیم

یا ایها الذین آمنوا اوفوا بالعقود • الوفاء هو القیام بمقتضی العهد وکذلک الایفاء والعقد العهد الموثق قال
الحطیئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الکربا واصله الجمع بین الشیئین بحیث یعسر الانفصال
ولعل المراد بالعقود ما یعم العقود التی عقدها الله علی عباده والزمها ایاهم من التکالیف وما یعقدونه بینهم من عقود
الامانات والمعاملات ونحوهما مما یجب الوفاء به او یحسن ان حملنا الامر علی المشترک بین الوجوب والندب • احلت لکم
بهیمة الانعام • تفصیل للعقود والبهیمة کل حی لا یمیز وقیل کل ذات اربع واضافتها الی الانعام للبیان کقولک ثوب
خز ومعناه البهیمة من الانعام وهی الازواج الثمانیة والحق بها الظباء وبقر الوحش وقیل هما المراد بالبهیمة ونحوهما
مما یماثل الانعام فی الاجترار وعدم الانیاب واضافتها الی الانعام لملابسة الشبه • الا ما یتلی علیکم •

الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم
وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال مما استكن في محلي
والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله
يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام
النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام
بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات
القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها
مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي
من نعل او لحاء الشجر او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة
له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له
وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضية في حجاج
اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة
وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد
بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة هاهنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ
بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ واحللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم
لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ
ابن عامر واسماعيل عن نافع وابي عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان
في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه
شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى
اثنين ككسب وقرئ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر

والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام
واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه
الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء
ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه
والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت
من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع وما اكل منه فمات
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من
ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب
واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى
بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام
اي حرمت عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها
امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه
وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو
استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق
اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله
ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما
بعينه وانما المراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة
عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من
ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم
بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوفيق على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد
واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام

اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض
بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي
والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه
بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك
ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا
لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شائع في امثاله والمسئول ما احل لهم من المطاعم كانه لما تلي عليهم
ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه
حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل
ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد
على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد
مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلوة والسلام اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم
ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل
فكلوا مما امسكن عليكم وهو ان لا ياكل منه لقوله عليه الصلوة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسكه
على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر
وقال الآخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكه
بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم
احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود
والنصارى واستثنى علي رضي الله تعالى عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر
ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه الصلوة والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير

ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك
والمحصنات من المؤمنات اي الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد
وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا
ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة
من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة
اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان
من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء
والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه
عليه الصلوة والسلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق
اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف
لقوله عليه الصلوة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء
عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى
مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى
التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم
او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا
وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى
الليل لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض
فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق
فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا
وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع

رأس لانه عليه الصلوة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين
نصب نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول
اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم
وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة في ذلك باب وفائدته التنبيه على انه ينبغي
ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب بالمسح وفي الفصل بينه وبين اخوته ايماء على وجوب الترتيب
وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد
الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء
تكفير للذنوب او ليطهركم اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى
ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة
وليتم نعمته عليكم وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه
عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان
مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما
مائع وجامد وموجبهما حدث اكبر واصغر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب
واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ
قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر
واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله
عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله
شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة
بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض

عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان
من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين
وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة
في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين
وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان
قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله
كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه الصلوة والسلام اتى قريظة ومعه
الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم
اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله
يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي
فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني
فقال لا احد الا اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم
ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ
الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها
او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير
الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم

النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة
وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن
يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم
واصل التعزير الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم
سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من
كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم
او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة
قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ
قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير
كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير لهم فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا
وافرا مما ذكروا به من التورية او اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه
وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي عن ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والغدر من عاداتهم وعادات اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم
وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا الجزية
وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن
احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم
كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم
سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود

وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب
لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التورية
وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبره اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم
فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب
الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما
كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منه سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله
ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم
طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد
منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب
اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا
ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور
ومقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق
ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل
كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه
اما ذكر وحده كما خلق حوا او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم
وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة ال عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم
فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار
اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق من خلقه يغفر لمن يشاء وهم من امن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم
من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونها
خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين

يحرف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال
اي جاءكم رسولنا مبيناً لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي
او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم
بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى
كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وكان بينهما ستمائة وخمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة
من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث عليهم حين انطمست آثار
الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم
وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك
تكاثر الانبياء وبعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم
وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض
بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم
لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل
لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا
عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في تنقلبوا الجزم على العطف
والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر
بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة
لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كان رجلين من الجبابرة اسلما
وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له
انه قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله با

بالتذكير او يخوفونهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب
باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر
عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه السلام
وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد
ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله
ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك معينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى
وحزنا اي له لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا
يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه
عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير
في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا
وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم
اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله
ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عليه السلام سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض
وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة
وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل
لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا
اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من الشمس
وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان
موسى وهارون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه
مات هارون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء بغتة فيه غير كالب ويوشع

فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم. واتل عليهم
نبأ ابني آدم. قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت
اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا
وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق
صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب
الاولين. اذ قربا قربانا. ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان
اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي ما يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن
وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب ارذل قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب
جملا سمينا. فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم ربه ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس
ما عنده. قال لاقتلنك. توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين.
في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه
من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة
لا تقبل الا من مؤمن متق. لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب
العالمين. قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما
هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب
لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين. تعليل ثان للامتناع عن المعارضة
والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه
المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل لاجله قربانك
وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده
بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه

لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة. فطوعت له نفسه قتل اخيه. فسهلت له
ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعاها الى الاقدام عليه
وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله. فقتله فاصبح من الخاسرين. دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا
قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم. فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوأة اخيه. روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث
الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في يريه لله او للغراب وكيف
حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى
كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة. اعجزت
ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي. لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على ان اكون وليس جواب
الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا. فاصبح من النادمين
على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه
منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود
جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعل من اجله. من اجل ذلك كتبنا على
بني اسرائيل. بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من
ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من
اجل ذلك. انه من قتل نفسا بغير نفس. بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص. او فساد في الارض. او بغير فساد فيها كالشرك
وقطع الطريق. فكانما قتل الناس جميعا. من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل
الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم. ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا. اي ومن تسبب
لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود
منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عنها. ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون. اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية

وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيداً للامر وتجديداً للعهد كي يتحاموا عنها وكثير منهم يسرفون في الارض
بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيماً واصل الحرب السلب
والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فساداً اي مفسدين
ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فساداً فكانه قيل ويفسدون في الارض فساداً ان يقتلوا
اي قصاصاً من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف
في انه يقتل ويصلب او يصلب حياً ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم
اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون
من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل
انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة
عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه
قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصاً فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه
وتقييد التوبة على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع
المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب
اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم
تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعاً من صنوف الاموال
ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه
لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة
في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه
خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود

وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما
قال وما هم بخارجين بدله وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير
فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى
والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبراً الا باضمار وتأويل والسرقة
اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت في حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام
القطع في ربع دينار فصاعداً وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح
والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد
صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور
الى انه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالاً من الله منصوبان على المفعول له
او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي
عن التبعات والعزم ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع
فلا يسقط بها عند الاكثر لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي او لكل احد يعذب
من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة بناء على ترتيب ما سبق او لان استحقاق
التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع
الذين يقعون في الكفر سريعاً اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
اي المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا
سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين
خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون
لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبراً او افراطاً في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون
لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني

مكرر للتأكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله
فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم
او صفة السماعون او حال من الضمير في لم يأتوك او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع على الذم خبر لمحذوف اي هم يحرفون
وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم في الاعراب
محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به. روي ان شريفا من خيبر زنا بشريفة وكانا محصنين
فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد
والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله
الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله
وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا
فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على
فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم
وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب
كرره للتأكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير
وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم
كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي رحمه الله تعالى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما
ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى يجب مطلقا
وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم
بالقسط بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة
فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي عندهم وتنبيه على انهم ما

ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم حكم الله
حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم
لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف
على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه
انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني
اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا
صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم
للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار
زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم
ان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون
ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا
غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا باحكامي
التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون
لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم
لانكارهم وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال
انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود
والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التوراة ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل
بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على ان الجمل معطوفة على ان
وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل
كالقول او مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن
والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه

بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع والجروح
قصاص اى ذات قصاص وقراءة الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل
فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اى فمن عفى عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به
ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اى التي يستحقها بالتصدق لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم
بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اى واتبعناهم على آثارهم فحذف
المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير في آثارهم للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء
مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال
ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له
عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة على ان اللام
متعلقة بمحذوف اى وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اى امرنا بان يحكم
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان
الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا
بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اى القرآن مصدقا لما
بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر
الكتب يحفظه من التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنيته للمفعول اى هومن عليه وحوفظ من التحريف والتبديل
هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق
بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا
عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو
سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به
على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد
في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على

على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين
لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات
فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استئناف فيه تعليل الامر
بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل
والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه
بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض
ما انزل الله اليك اى يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى احذر فتنتهم او مفعول له
اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد
قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم
فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل
وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك
تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره
قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه
افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت
في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى
وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف وحذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا
واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم
وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
اى عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون
الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي

اى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم فى مضادتكم ومن يتولهم منكم
فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا تشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلوة والسلام لا تراءى
نارهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة
الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم
ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان
بان ينقلب الامور ويكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى
من اليهود كثير اعددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى اخاف
الدوائر ولا ابرأ من ولاية موالى فنزلت فعسى الله ان ياتى بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين
او امر من عنده يقطع شافة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا
اى هؤلاء المنافقون على ما اسروا فى انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول
فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام
مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون
حينئذ وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان ياتى باعتبار المعنى وكانه قيل عسى ان ياتى الله بالفتح
ويقول الذين آمنوا او يجعل بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح
بمعنى عسى الله ان ياتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا
بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله
عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم
وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصب على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف
الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا
خاسرين اما من جملة القول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم
وما اخسرهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام
والباقون

والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله
فيروز الديلمى ليلة قتل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر
ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب رسول الله من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضى الله عنه بجند من المسلمين وقتله وحشى
قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم
وحسن اسلامه وفى عهد ابى بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم
الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة
وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يده وفى امرة عمر غسان
قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روى
انه عليه الصلوة والسلام اشار الى ابى موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه الصلوة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق
سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة
وثلثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف ياتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد
ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه
اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين
معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة
على الكافرين اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون فى سبيل الله صفة اخرى
لقوم او حال من الضمير فى اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله
والتصلب فى دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون فى جيش المسلمين خائفين
ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير

لائم مبالغة. ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله
واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله. انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكره
عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله
وللمؤمنين على التبع. الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم
او بدل منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة
بيؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه انها نزلت في علي رضي الله عنه حين
سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي
المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل
فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة
لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء. فان حزب
الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء
فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن
يتولى غير هؤلاء فانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم. يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء. نزلت في رفاعة بن زيد
وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على
اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل
المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب
يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا ولعل ان النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا
سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين. واتقوا الله بترك
المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده. واذا ناديتم
الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة

روي ان نصرانيا في المدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات
ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررة في البيت فاحرقه واهله. ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى
الجهل بالحق والهزؤ به والعقل يمنع منه. قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا
اذا انكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة. الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الا
بالكتب المنزلة كلها. وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي
ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون
فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير
هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم
فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال
يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل
الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم. قل هل انبئكم بشر
من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر
فوضعت هنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر. من لعنه الله
وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله
او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم
وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار
اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير. وعبد
الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا
فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبد
الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت
بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاع في معصية الله. اولئك الملعونون

شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء
السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغة التفضيل الزيادة مطلقا
لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا
لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا
وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق
كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلعم يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم
وترى كثيرا منهم اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم
الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم
واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا
دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس
ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به
خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك
الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل
اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك
كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة
الليل وقيل معناه انه فقير كقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم
ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى
في الدنيا ويسحبون الى النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك
سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا

لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج
وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب
مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر
ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء
فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه
الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون
ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء
والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفأها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها
عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا
فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين
وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة
الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا
بمحمد وبما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها
ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام
يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما
من نعت الرسول والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم
مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض
عليهم بركات السماء والارض او بكثرة ثمرة الاشجار وغلة الزرع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما من
رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور
الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة

غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير
منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق
والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل
اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل اي وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت
رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلاة
فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث
ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك من الناس عدة وضمان
من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم
مما يريدون بك وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ
رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت
فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس فظاهر الآية يوجب تبليغ
كل ما انزل ولعل المراد به تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار
الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل
حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاذعان
لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة
اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم
الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين
مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة
والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله الا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق
وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح

منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما
وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ولا يجوز عطفه على
محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ عن الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه
عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى
نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه
وقرئ والصابيون وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا
او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف
هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا
والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا
ومحافظة على رؤوس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من
الثقيلة واصله انه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشان وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيله منزلة
العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين والدلائل او الهدى وصموا
عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى
وقرئ بالضم فيهما على ان الله تعالى عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمي واصم كثير منهم
بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمي والصم كثير منهم
وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق

المالم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد
مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال
فقد حرم الله عليه الجنة يمنعه من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين وماواه النار فانها
المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا
على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلامه
تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم
الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات
واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة
ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم
اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم
وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد
والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام
تعجيب من اصرارهم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله
خصه الله بالآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب
وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن
الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما
من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما
وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية
لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن

عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك
مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه
في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة و
المشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال
والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا
فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في شريعتهم
واضلوا كثيرا ممن شايعهم في بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام
بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم
عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اي لعنهم الله في الزبور
والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما
كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم الله عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيئوا له او لا ينتهون
عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم
ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص
محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كان
الآية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم

فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق
وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى
للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه الاشارة بقوله ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون
كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان في كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم
وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع
موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى
للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف
اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته
او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط
مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في
اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه
ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف
والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد
من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي
واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان
والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او

او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين
وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض
الشهوات عقبه بالنهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية
عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه
يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا
على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا
في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء
فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما
رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة
بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه
لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف
على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف
وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب
اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلوة والسلام

من حلف على شيء ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير * اطعام عشرة مساكين من اوسط ما
تطعمون اهليكم * من اقصده في النوع والقدر فهو مد لكل مسكين عندنا وعند الحنفية نصف صاع ومحله النصب لانه صفة
مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون
كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع
ليلة والاراضي في جمع ارض وقيل اهلاة * او كسوتهم * عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب يغطي
العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف فهو لغة كقدوة في قدوة وكأسوتهم
بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع
وتقديره او اطعامهم كاسوتهم * او تحرير رقبة * او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا
على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين * فمن لم يجد * اي واحدا منها
فصيام ثلثة ايام * فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ
ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة * ذلك * اي المذكور * كفارة ايمانكم اذا حلفتم * اذا حلفتم وحنثتم
واحفظوا ايمانكم * بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او
بان تكفروها اذا حنثتم * كذلك * اي مثل ذلك البيان * يبين الله لكم آياته * اعلام شرايعه * لعلكم تشكرون *
نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه * يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب * اي الاصنام التي نصبت للعبادة * والازلام * سبق تفسيره في اول السورة * رجس * قذر تعاف
عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر *
من عمل الشيطان * لانه مسبب من تسويله وتزيينه * فاجتنبوه * الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي * لعلكم تفلحون *
لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالانصاب
والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر
بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية
المقتضية للتحريم فقال * انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن

عن ذكر الله وعن الصلوة * وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود ان
بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلوة والسلام شارب الخمر
كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث
انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع
الصوارف فقال * فهل انتم منتهون * ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت
واطيعوا الله واطيعوا الرسول * فيما امرا به * واحذروا * عما نهيا عنه او مخالفتهما * فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين * اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم * ليس على
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا * مما لم يحرم عليهم لقوله * اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات *
اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة * ثم اتقوا * ما حرم عليهم بعد كالخمر * وآمنوا * بتحريمه * ثم اتقوا *
ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي * واحسنوا * وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر
قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون
هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين
نفسه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلوة والسلام
في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس
الطبيعة * والله يحب المحسنين * فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار
لله محبوبا * يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم * نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظايم التي تدحض الاقدام كالابتلاء
ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو اشد منه * ليعلم الله من يخافه بالغيب *
ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد

وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد
لاحق به فانه من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها
الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة
للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة و
الغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز
قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني
او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام
عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب
الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية
حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة
الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما
بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفة وقرا الباقون على اضافة
المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء
مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة
باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد
فان بلغت ثمن هدي يخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم
واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه
اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة
في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا
حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه

بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة
يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين
عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك
خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد
فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما
وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى
الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق
ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه
الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد
الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح
والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو
حلال كله لقوله عليه الصلاة والسلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك
وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا
لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه
او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه الصلاة والسلام
لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام
واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم
يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم و
دنياهم وقرا ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصب على المصدر
او على الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد به الشهر الذي يؤدى فيه

الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرانه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة
الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها
وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة
بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن
حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول
اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب
وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال
والاموال وجيدها رغب في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة
دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي
الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح
روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا
لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها
صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم
وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه
قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيّئ كهين او شيء كصديق فخفف
وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا
الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض
عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني
ما تركتكم فنزلت او استئناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم
لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان
من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال

كما سألوا ثمود صالحا الناقة وسأل قوم عيسى المائدة

وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد
بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة لجثة ولا حالا
منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا ما جعل الله من بحيرة
ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن
آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي
سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم
وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره
ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول
واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم
لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم والآمر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف
بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم
سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل
على هذه الحالة اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن
علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اي
احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته
كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع
فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له
سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب
او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم

بالهدى ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ه
وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم
شهادة بينكم والمراد بالشهادة الشهادة فى الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب
والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية
بدل منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون
خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم
عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم
فى الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما
صفة الآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض وفائدته الدلالة على انه
ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار
وقيل اى صلوة كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم اى ان ارتاب الوارث منكم لا نشترى به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم
اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله
كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشترى ولا نكتم شهادة الله
اى الشهادة التى امرنا باقامتها وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمنا وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما
اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اى من الذين
جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما و
معرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير فى
يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اى من الاولين من

من الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان
بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن
الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية
ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى نسبه او دينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى السفر فآخران
من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على انهما كذبا
بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد
ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين
فان تصديق الوصى باليمين لامانته او لتغير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن زيد خرجا الى الشام
للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون
ما معه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه
اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى
سبيلهما ثم وجد الاناء فى ايديهما فاتاهم بنو سهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة
فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى رفاعة
السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد فيهما لخصوص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهد
ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير
لانه يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدى القوم الفاسقين اى
فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين اى لا يهديهم الى حجة او الى طريق
الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف
المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم

على ان ماذا في موضع المصدر او بأي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة
لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابوا
واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى
لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام
قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر
وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من
يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم
وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب
باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام
او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد
اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية والكهولية على سواء والمعنى الحاق حالة الطفولية
بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني واذ
تبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب
طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتلك
اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به
الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم
على ألسنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة قالوا آمنا
واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون
تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن
بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه

القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك
اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك
او من ماده اذا اعطاه كأنها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال
ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما
دعاهم الى السؤال وهو ان نتمتع بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين
للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم
الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور
العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا
ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا
واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية منك عطف على عيدا ومنك صفة لها اي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي
وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني
منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة
لا اعذبه احدا الضمير للمصدر والعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر من العالمين اي من عالمي زمانهم
او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين
وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين
ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث
واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال
شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم
واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة

احي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا
وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء
طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى
ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا
وقيل وعدها الله ان اجابهم بهذه الشريطة فاستعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله
لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة هنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء
البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقايق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان
فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم
فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمل
ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا. اذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة
فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده
او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة
الله تعالى فكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله تعالى. قال سبحانك. اي انزهك تنزيها من ان يكون
لك شريك. ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق. ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله. ان كنت قلته
فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك. تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم
ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات. انك انت علام الغيوب.
تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه. ما قلت لهم الا ما امرتني به. تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم
ما يدل عليه. ان اعبدوا الله ربي وربكم. عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح
المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني
فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم

وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم. اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم
من كفر وايمان. فلما توفيتني. بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت
نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها. كنت انت الرقيب عليهم. المراقب لاحوالهم
فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات
وانت على كل شيء شهيد. مطلع عليه مراقب له. ان تعذبهم فانهم عبادك. اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك
ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم. فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب
ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم
غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان. قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم. وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي
هو من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه
معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف. لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم. بيان للنفع. لله ملك السموات والارض
وما فيهن وهو على كل شيء قدير. تنبيه على كذب النصارى وفساد دعويهم في المسيح وامه وانما لم يقل
ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل اعلاما بانهم في غاية القصور عن معنى الربوبية و
النزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا
للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة
اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي
ونصراني يتنفس في الدنيا.

سورة الانعام مائة وعشرون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعا حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد
ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات
متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور
انشاءهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك
عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وافراد النور للقصد الى
الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى
واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه
الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف
على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته
ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر
او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى
ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون
عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان
اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل
البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل
الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها
وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة
ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين
لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا بقدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون
استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد

المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى
دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرية وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله
والله خبره في السموات والارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله
وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم
فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه
بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون
من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط
من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا
به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره
ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول
العذاب بهم في الدنيا او الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل
زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم
قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها او اعطيناهم
من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل
مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر
او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف
بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا
آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده
قادر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه

وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث
لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء. لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين. تعنتا وعنادا. وقالوا لولا انزل عليه ملك. هلا انزل على محمد ملك يكلمنا انه نبي كقوله
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا. ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو مانع مما اقترحوه
والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فانه سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم
ثم لا ينظرون. بعد نزوله طرفة عين. ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون. جواب ثان
ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة
وتارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو
والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبرائيل في صورة دحية فان
القوة البشرية لا تقوى رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا
جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ
لبسنا بلام واحدة ولبّسنا بالتشديد للمبالغة. ولقد استهزئ برسل من قبلك. تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما
يرى من قومه. فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون. فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث
اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم. قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين. كيف
اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر
ولا كذلك هاهنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين. قل لمن ما في السموات
والارض. خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت. قل لله. تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم
ان يذكروا غيره. كتب على نفسه الرحمة. التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك
الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر. ليجمعنكم الى يوم القيمة.
قسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم
او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم. لا ريب فيه.
في اليوم او الجمع. الذين خسروا انفسهم. بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع

وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر. فهم لا يؤمنون. والفاء للدلالة
على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال
النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان. وله ما سكن في الليل والنهار. عطف على لله من السكنى
وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما وتحرك
فاكتفى باحد الضدين عن الآخر. وهو السميع. لكل مسموع. العليم. بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون
وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم. قل اغير الله اتخذ وليا. انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي
فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك. فاطر السموات والارض. مبدعهما
وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها
وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح. وهو يطعم ولا يطعم. يرزق
ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى
كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم
بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط. قل اني امرت ان اكون اول من اسلم
لان النبي سابق امته في الدين. ولا تكونن من المشركين. وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل. قل اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم. مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب
والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة. من يصرف عنه يومئذ. اي يصرف العذاب
عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به
محذوف او يومئذ بحذف المضاف. فقد رحمه. نجاه وانعم عليه. وذلك الفوز المبين. اي الصرف او الرحمة. وان يمسسك
الله بضر. ببلية كمرض وفقر. فلا كاشف له. فلا قادر على كشفه. الا هو وان يمسسك بخير. بنعمة كصحة وغنى
فهو على كل شيء قدير. فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله تعالى فلا راد لفضله
وهو القاهر فوق عباده. تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة. وهو الحكيم. اي في امره وتدبيره
الخبير. بالعباد وخفايا احوالهم. قل اي شيء اكبر شهادة. نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألنا

عنه اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول والشيء
يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة. قل الله أي الله أكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني
وبينكم أي هو شهيد ويجوز أن يكون الله شهيد هو الجواب لأنه تعالى إذا كان الشهيد كان أكبر شيء
شهادة. وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به أي بالقرآن واكتفى بذكر الإنذار من ذكر البشارة. ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر أو من الثقلين
أو لأنذركم أيها الموجودون ومن بلغه إلى يوم القيمة وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين
وقت نزوله ومن بعدهم وأنه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه. أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى
تقرير لهم مع إنكار واستبعاد. قل لا أشهد بما تشهدون. قل إنما هو إله واحد بل أشهد أن
لا إله إلا هو. وإنني بريء مما تشركون يعني الأصنام. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بحليته المذكورة في التوراة والإنجيل. كما يعرفون أبناءهم بحلاهم. الذين خسروا أنفسهم
من أهل الكتاب والمشركين. فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الإيمان. ومن أظلم ممن افترى على الله
كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله. أو كذب بآياته كأن كذبوا القرآن
والمعجزات وسموها سحرا وإنما ذكر أو وهم قد جمعوا بين الأمرين تنبيها على أن كلا منهما وحده بالغ
غاية الإفراط في الظلم على النفس. إنه الضمير للشأن. لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا أحد أظلم منه. ويوم نحشرهم
جميعا منصوب بمضمر تهويلا للأمر. ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء
لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء. الذين كنتم تزعمون أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد
من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء
فيها ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم. ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا أي كفرهم والمراد
عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون أن يتخلصوا بها من فتنت الذهب إذا خلصته وقيل جوابهم وإنما سماه
فتنة لأنه كذب أو لأنهم قصدوا به الخلاص. وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على
أنها الاسم ونافع وأبو عمرو وأبو بكر بالتاء والنصب على أن الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمك والباقون

والباقون بالياء والنصب. والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفع من فرط الحيرة
والدهشة كما يقولون ربنا أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وهو لا يوافق
قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم أي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظيره قوله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم. وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء. وضل عنهم
ما كانوا يفترون من الشركاء. ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن والمراد أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
وأبو جهل وأضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته
ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم. وجعلنا على قلوبهم أكنة أغطية جمع
كنان وهو ما يستر الشيء. أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه. وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق
ذلك في أول البقرة. وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم. حتى إذا جاؤك يجادلونك
أي بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة إذا وجوابه وهو
يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين فإنه جعل أصدق الحديث خرافات الأولين غاية التكذيب و
يجادلونك حال لمجيئهم ويجوز أن تكون الجارة وإذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك حال وقوله يقول تفسير له
والأساطير الأباطيل جمع أسطورة أو إسطارة أو أسطار جمع سطر وأصل السطر بمعنى الخط. وهم ينهون عنه
أي ينهون الناس عن القرآن أو الرسول والإيمان به. وينأون عنه بأنفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي طالب. وإن يهلكون وما يهلكون بذلك. إلا أنفسهم
وما يشعرون أن ضرره لا يتعداهم إلى غيرهم. ولو ترى إذ وقفوا على النار جوابه محذوف أي ولو تراهم حين
يوقفون على النار حتى يعاينوها أو يطلعوا عليها أو يدخلوها فيعرفوا مقدار عذابها لرأيت أمرا شنيعا
وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا. فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع إلى الدنيا. ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الإثبات كقولهم دعني ولا أعود أي وأنا لا
أعود تركتني أو لم تتركني أو عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني وقوله وإنهم لكاذبون راجع
إلى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب بإضمار أن بعد الواو وإجراؤها مجرى الفاء

وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب. بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل. الاضراب عن ارادة الايمان
المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا
لآمنوا. ولو ردوا. الى الدنيا بعد الوقوف والظهور. لعادوا لما نهوا عنه. من الكفر والمعاصي. وانهم لكاذبون. فيما وعدوا
من انفسهم. وقالوا. عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا. ان هي الا
حياتنا الدنيا. الضمير للحياة. وما نحن بمبعوثين. ولو ترى اذ وقفوا على ربهم. مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه
ووقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف. قال اليس هذا بالحق. كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة
للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب. قالوا بلى وربنا. اقرار مؤكد باليمين لانجلاء
الامر غاية الجلاء. قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. بسبب كفركم او ببدله. قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله. اذ فاتهم
النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه. حتى اذا جاءتهم الساعة. غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم
لا غاية له. بغتة. فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء. قالوا يا حسرتنا. اى تعالى فهذا اوانك
على ما فرطنا. قصرنا. فيها. في الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شأنها والايمان بها. وهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم. تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام. الا ساء ما يزرون. بئس شيئا يزرونه وزرهم. وما الحياة الدنيا
الا لعب ولهو. اى وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم
ان هي الا حياتنا الدنيا. وللدار الآخرة خير للذين يتقون. لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه
على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة. افلا يعقلون. اى الامرين خير وقرأ نافع وابن
عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين. قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشأن وقرئ ليحزنك من احزن. فانهم لا يكذبونك
في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب. ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم
على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول له ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما
نكذب بما جئتنا به فنزلت. ولقد كذبت رسل من قبلك. تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله

لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا. فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم
نصرنا. فيه ايماء بوعد النصر للصابرين. ولا مبدل لكلمات الله. لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
الآيات. ولقد جاءك من نبإ المرسلين. اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم. وان كان كبر عليك. عظم وشق
اعراضهم. عنك وعن الايمان بما جئت به. فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية.
منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة نفقا
وفي السماء صفة سلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره
فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض
او فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم. ولو شاء الله لجمعهم على الهدى. اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم
للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان يأتيهم
بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة. فلا تكونن من الجاهلين. بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن
الصبر فان ذلك من دأب الجهلة. انما يستجيب الذين يسمعون. انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او القى
السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون. والموتى يبعثهم الله. فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان
ثم اليه يرجعون. للجزاء. وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه. اى آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات
المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا. قل ان الله قادر على ان ينزل آية. مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان
كنتق الجبل او آية ان جحدوا هلكوا. ولكن اكثرهم لا يعلمون. ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء
وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد. وما من دابة في الارض
تدب على وجهها. ولا طائر يطير بجناحيه. في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع
على المحل. الا امم امثالكم. محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى. ما فرطنا في
الكتاب من شيء. يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان
ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء

في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى
ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس
حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم
قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر
او ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشإ الله اضلاله
يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه
قل ارايتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا
ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلثة مفاعيل وللزم في الآية ان يقال
ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف وتقديره ارايتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب
الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم
صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع
وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم
ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على
كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن
زائدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء
الضر والآفات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع
لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء
والضراء ولم يتعظوا فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء
وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال مكر بالقوم ورب

ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى
اذا فرحوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق
منهم احد من دبر دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان اهلاك الكفار
والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم
من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات
نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين
ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب
الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدم امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة
هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه
وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار
ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم
من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم
كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة
قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب
عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا
ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشرية ردا لاستبعادهم
دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او
مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء
الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا

الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم
دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشرون فان المخوف هو الحشر على
هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير المتقين
ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون
فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم
عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا
بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر
بالغدوة هنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها
على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله كان اعظم من ايمان من تطردهم
بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان
لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك
لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم
ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي
فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض
ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا
هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء
من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار
لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او التعليل
على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع
منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤ

يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة و
امره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا
بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله
بالسلامة في الدنيا وبالرحمة في الآخرة وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا
عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار
والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال السفهاء والجهال
ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه
من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح
نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين
قرأه نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل
وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع
على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين
قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين
تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونه آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم
تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ
ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا
اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم
وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها
من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة البينة وكذبتم به الضمير لربي

اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره او بالبينة باعتبار المعنى ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله فى تعجيل العذاب وتاخيره يقض الحق اى القضاء الحق
او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر
واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين
القاضين قل لو ان عندى اى فى قدرتى وامكانى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربى وانقطع ما بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين فى معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله
والله اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ وبمن ينبغى ان يمهل وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذى هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح
والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها وتاخيرها من الحكم
فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما فى البر
والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة
الا يعلمها مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات
على ورقة وقوله الا فى كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال
ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل ورقة او للابتداء والخبر الا فى كتاب مبين وهو الذى يتوفيكم
بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتمييز
فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد
ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفى فيه فى النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المستيقظ آخر اجله المسمى له
فى الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى
انكم ملقون كالجيف بالليل وكان سعيكم للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى
شان ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث
الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق

فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان
اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد
على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته
رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتوانى والتاخير وقرئ
بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم
الذى يتولى امرهم الحق العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره
فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار
فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف
والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اى يقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون
لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه
الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع
تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك فى عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم
او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا
التبست نفضت لها يدى ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات
بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اى بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع
لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم
انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا خبر يريد انباء العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار

وقوعه • وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة • واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء
بها والطعن فيها فاعرض عنهم • فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره • اعاد الضمير على معنى
الآيات لانها القرآن • وإما ينسينك الشيطان • بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسّينك
بالتشديد • فلا تقعد بعد الذكرى • بعد ان تذكره • مع القوم الظالمين • اي معهم فوضع الظاهر موضعه
دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام • وما على الذين يتقون
وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم • من حسابهم من شيء • مما يحاسبون عليه
ولكن ذكرى • ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو
يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه
ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات • لعلهم يتقون • يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل
ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا
لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت • وذر الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا • اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم
وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل
ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم
كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم
وغرتهم الحياة الدنيا • حتى انكروا البعث • وذكر به • اي بالقرآن • ان تبسل نفس بما كسبت • مخافة ان تسلم
الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه و
الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام • ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع • يدفع عنها
العذاب • وان تعدل كل عدل • وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل
نصب على المصدر • لا يؤخذ منها • الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به
اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا • اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة • لهم

شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون • تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل
بابدانهم بسبب كفرهم • قل اندعو • انعبد • من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا • ما لا يقدر على نفعنا وضرنا • ونرد
على اعقابنا • ونرجع الى الشرك • بعد اذ هدانا الله • فانقذنا منه ورزقنا الاسلام • كالذي استهوته الشياطين • كالذي
ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالالف ممالة ومحل
الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته • في الارض حيران
متحيرا ضالا عن الطريق • له اصحاب • لهذا المستهوى رفقة • يدعونه الى الهدى • الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى
الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر • ائتنا • يقولون له ائتنا • قل ان هدى الله • الذي هو الاسلام
هو الهدى • وحده وما عداه ضلال • وامرنا لنسلم لرب العالمين • من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل
الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة • وان اقيموا الصلوة واتقوه • عطف على لنسلم اي للاسلام
ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا بان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى
عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول عليه السلام بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما له واظهارا
للاتحاد الذي كان بينهما • وهو الذي اليه تحشرون • يوم القيمة • وهو الذي خلق السموات والارض بالحق • قائما
بالحق والحكمة • ويوم يقول كن فيكون قوله الحق • جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة
والمعنى انه الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء
في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن
فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها •
وله الملك يوم ينفخ في الصور • كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • عالم الغيب والشهادة • اي هو عالم الغيب
وهو الحكيم الخبير • كالفذلكة للآية • واذ قال ابراهيم لابيه آزر • هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ
ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل
منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل
كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به

الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل
عليه انه قرئ أأزرا تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء
وهو يدل على انه علم انى اراك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابراهيم
ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية
ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة
وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون
الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه
الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول
يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان
بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب الآفلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضى
الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم
يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه
ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال
فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث هذا
اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة
المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص به ثم تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى
دلت هذه الممكنات عليه فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه
فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله
فى وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به

اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من
جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربى كل شئ علما كانه علة
الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين
الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله
وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار
النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن
اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف
منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه او من الله بالجواب
عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا
لم يظلم نفسه فقال عليه الصلوة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية
وتلك اشارة الى حجج ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى
اليه حجتنا آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل
خبر تلك او بمحذوف ان جعل بدله اى آتيناها ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة
وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من رفعه واستعداده له
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عد هداه
نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه
وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين
فى الآية والتى بعدها والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ايوب بن
اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين اى ونجزى
المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى

هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية يتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح
فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هارون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين
في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة
والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس وهو يونس بن متى ولوطا وهو ابن هاران بن اخي ابراهيم
وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم
واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم
فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهتديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم
تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل
على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شأنهم لحبط عنهم
ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس
والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلثة هؤلاء
يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل
هم الانصار او اصحاب النبي او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء
المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد
واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس فيه
دليل على انه عليه الصلوة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن
كثير ونافع وابو عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر ويكسر الهاء بغير اشباع برواية
هشام على انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم
كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القرآن او الغرض
الا ذكرى للعالمين الا تذكرة او عظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة

والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته
وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك
مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وقرأ الجمهور بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على
قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتورية وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه
في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول عليه الصلوة والسلام بقوله
انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم
المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة
على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره
بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب
ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف
صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب
انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر
ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه
وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شأنا وقيل لان الارض
دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب
ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير
يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى

عن الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه
وقال اوحى الى ولم يوح اليه شئ كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزل ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن
الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه الصلوة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال
لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال. ومن قال سانزل مثل
ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا. ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه
اى ولو ترى الظالمين. فى غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه. والملائكة باسطوا ايديهم
بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملظ او بالعذاب. اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم
تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا. اليوم يريد به وقت الاماتة او
الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له. تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة
واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه. بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك
ودعوى النبوة والوحى كاذبا. وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون. ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء. فرادى منفردين عن الاهل والاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن
الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا
كرخال بالتنوين وفراد كثلاث وفردى كسكرى. كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم
عليها فى الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم
حفاة عراة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كخلقنا لكم. وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به
عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة. وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا. وما نرى
معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء لله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم.
لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد لانه يستعمل للفصل والوصل
وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع و

والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به
وضل عنكم بطل وضاع. ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء. ان الله فالق الحب والنوى
بالنبات والشجر وقيل المراد به الشق الذى فى الحنطة والنواة. يخرج الحى يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات
ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطفة والحب. ومخرج الميت من الحى ومخرج ذلك من الحيوان والنبات
ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان. ذلكم الله اى ذلكم المحيى المميت هو
الذى يحق له العبادة. فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره. فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل
او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصبح
وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح. وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته
فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لانه
فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على
ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون. والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له
قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا
اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمى الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان. ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب
المعلوم. تقدير العزيز الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص. العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير
الممكنة لهما. وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لكم. لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها
اليهما للملابسة او فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها
بقوله لكم. قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا. لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به. وهو الذى انشاكم
من نفس واحدة هو آدم عليه السلام. فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار فى الاصلاب او فوق الارض
واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف
على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع

وفصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر وذكر مع تخليق بني آدم يفقهون لان
انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر
وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء
نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفتنة بماء واحد كما في قوله تعالى يسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر
كاعور وعور وهو الخارج من الحب المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من
طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون
من النخل خبر قنوان طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان
جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة
من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعم
فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات او من الكرم
جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب
على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض
ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك
وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره
كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر
ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات
لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع
المتفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح
ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ
من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات

آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عليه الصلاة والسلام
كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها
فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان
ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه وحملهم عليه
توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى
ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في
موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلاة والسلام في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها
لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء
وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي الآية المقترحة
اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى
اعلم بما لم يتنزلوا العلم بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم
والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون
بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن
مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنوا بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على
لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها
كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية
المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة
وأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا

او جمع قبيل الذي بمعنى جماعة او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه
حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء
من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله ايمانهم وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم
يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل
الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة
الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي
جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض الجن الى بعض او بعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة منه من زخرفه اذا
زينه غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة
الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة
فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق
بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما
لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم
وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد
افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما
ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه
الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله
يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم
لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنو اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص

وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون
من باب التهييج كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول والمراد الامة وقيل الخطاب لكل واحد على معنى ان الادلة
لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمترى فيه وتمت كلمت ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده
صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته
لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها
القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله تعالى وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ
الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع
اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله
عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا
على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله
فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على
شيء وحقيقته الخرص ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم
بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية
مرفوع بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل
المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل
بالكثرة والاحاطة بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها او لزومها وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم
غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله واجتناب ما حرمه
وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم
مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة والدم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل لكم على البناء للمفعول ونافع ويعقوب
وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون

بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرئ ليضلون بضم اليا وبفتحها باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل
يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين من الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه
ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون
الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا
او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلوة والسلام ذبيحة المسلم حلال
وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله
وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا
وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم
وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام انكم لمشركون
فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء في الشرط
بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه
من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ
نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال
من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي في الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين
للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في
كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني
او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه اذ فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف
جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس
والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد

مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله اعلم
حيث يجعل رسالته استئناف فرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء
من عباده ويجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم
رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق
ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام يوسع له وينفسح له بالنور وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة
لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه الصلوة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن
فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله
الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا
بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء
مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع عنه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء
نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد
بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل
العذاب والخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او
الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي
اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة
والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث
من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد وحكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله
اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة
لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم

بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص
عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم
او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين
اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس
بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم
بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا
من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم
خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات
التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك
حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم
يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم
وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب
وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة
الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر
والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف
اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي
الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشأن لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون
لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من

اجزيتها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء
على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم وبامهالهم
على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله
ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم
من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن
لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر
عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه
من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه
فيحمله بالامر على ما يفضي اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان ينفصي عنه فسوف
تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار
فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي يكون له العاقبة
وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء
لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة
وجعلوا اي مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث
ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها
ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله
مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي لها
وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة وقد
جاء فيه الكسر ايضا كالودّ والودّ ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان

زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ
ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله
وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرئ
بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم
دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين
من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء
التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه
اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى
وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم
من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما
يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على
الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم
بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور
والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن
بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما في راوية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع
موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا
ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع
والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم
الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم
الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة

مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد لمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم
لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة
في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات
مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرس الناس فعرشوه وغير
معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير
للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل
واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه
يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر
وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده
يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكوة
والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك
لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله تعالى
ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من
الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل
والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول
كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه
وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان
على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين
اي التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى
قل آلذكرين من ذكر الضان وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت

عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا
من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى
او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة
زاعمين ان الله تعالى حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم
اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم
ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على
ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام
ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة
وقوله او دما مسفوحا عطف على ان يكون مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم
في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث
او مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة
وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على
يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء
من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية
محكمة لانها تدل على انه لم يوجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرم غير هذه وذلك لا ينافي ورود
التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها
الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل
كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما

او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن
وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم
او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة
واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة
على المطيعين وذو باس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه
لا ذنب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله
ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا
نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها
منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع
من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا
حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم
فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة
البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج
بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية
قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم
واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام
فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم
الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه
لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم
فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا

من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها
والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله
ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية
والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم
متعلق بحرم او اتل الا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم
باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده
المحذوف على ان لا زائدة والجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان لا تشركوا شيئا
يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة
اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق
من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه
ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ذروا ظاهر الاثم وباطنه
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر وفصل
مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة
كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية
لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه
من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في
اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح
والتخفيف والباقون بها مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ

وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى
فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله
الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم اي الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق
ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما
وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به
ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع
اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن دين او على الوجه الذي هو احسن ما يكون
عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة
والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن
انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا
علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور
ح من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان اي وانه كنا
عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب
على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن
كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون
يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم
الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل آياته يعني
آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او ياتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب
رضي الله عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال

انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن • يوم يأتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا ايمانها • كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث
لم تكن آمنت من قبل • صفة نفسا • او كسبت في ايمانها خيرا • عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا
غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم
بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على
لم تكن والمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا • قل انتظروا انا منتظرون • وعيد لهم
اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل • ان الذين فرقوا دينهم •
بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على
ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا • وكانوا شيعا • فرقا تشيع
كل فرقة اماما • لست منهم في شيء • اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت برئ منهم وقيل هو نهي
عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف • انما امرهم الى الله • يتولى جزاءهم • ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون • بالعقاب
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها • اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع
على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر
الكثرة دون العدد • ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها • قضية للعدل • وهم لا يظلمون • بنقص الثواب و
زيادة العقاب • قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم • بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج • دينا • بدل من محل
الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ • قيما •
فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام • ملة ابراهيم •
عطف بيان • حنيفا • حال من ابراهيم • وما كان من المشركين • عطف عليه • قل ان صلاتي ونسكي • عبادتي كلها

كلها او قرباتي او حجي • ومحياي ومماتي • وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات
المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى
الوقف • لله رب العالمين لا شريك له • خالصا له لا اشرك فيها غيره • وبذلك • القول او الاخلاص • امرت وانا
اول المسلمين • لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته • قل أغير الله ابغي ربا • فاشركه في عبادته وهو جواب
عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم • وهو رب كل شيء • حال في موقع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب
مثلي لا يصلح للربوبية • ولا تكسب كل نفس الا عليها • فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك • ولا تزر وازرة
وزر اخرى • جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم • ثم الى ربكم مرجعكم • يوم القيامة • فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل • وهو الذي جعلكم خلائف الارض • يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله
في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين • ورفع بعضكم
فوق بعض درجات • في الشرف والغنى • ليبلوكم فيما آتاكم • من الجاه والمال • ان ربك سريع العقاب •
لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده • وانه لغفور رحيم • وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه
ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة
تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة
مسامح فيها • عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزلت علي
سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم
زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ سورة الانعام
صلى عليه واستغفر له اولئك
السبعون الف ملك بعدد كل
آية من سورة الانعام
يوما وليلة

سورة الاعراف مكية وهي مائتان وست آيات

بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راى الثنوية ومفعولا
جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل
من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون
الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ خلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له
اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له فتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ
وحرفوا اي وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب
الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر
اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر يعني انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام
فيه ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو
بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد من وجوه
الاول ان مبدع السموات والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها
فهو اولى بان يتعالى عنه او ان ولد الشيء نظيره ولا نظير له فلا ولد والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من
ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول
ان كل ما عداه مخلوق فلا يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم
اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز
ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق
العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته
الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل
اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة
ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب
فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه
من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل
النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب
او خبرا لمحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون
دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث
تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون
وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله
عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاكها او اهلكناها بالخذلان فجاءها
اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين
نصف النهار كقوم شعيب وانما حذف واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي العطف فانها واو العطف استعيرت
للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير عن مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين
ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم اي دعاؤهم واستغاثتهم
او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه
وبطلانه تحسرا عليه فلنسالن الذين ارسل اليهم اي الامم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسالن المرسلين
عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سؤال
الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين

النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك
مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر
يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع • وهو يدرك الابصار • يحيط علمه بها • وهو اللطيف الخبير • فيدرك ما لا تدركه
الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه
الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها • قد جاءكم بصائر من ربكم
البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها • فمن ابصر • اي الحق
الحق وآمن به • فلنفسه • ابصر لان نفعها له • ومن عمي • عن الحق وضل • فعليها • وباله • وما انا عليكم بحفيظ
وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله
عليه وسلم • وكذلك نصرف الآيات • ومثل ذلك التصريف نصرف الآيات وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف
وهو نقل الشيء من حال الى حال • وليقولوا درست • اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس
القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب
درست من الدروس اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة
في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت وعفيت ودارست اي دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم
وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرس اي درس محمد ودارسات
اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية • ولنبينه • واللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف
والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر • لقوم يعلمون • فانهم المنتفعون
اتبع ما اوحي اليك من ربك • بالتدين به • لا اله الا هو • اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك
بمعنى منفردا في الالوهية • واعرض عن المشركين • ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم ومن جعله
منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم • ولو شاء الله • توحيدهم وعدم اشراكهم • ما اشركوا
وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع • وما جعلناك عليهم حفيظا • رقيبا
وما انت عليهم بوكيل • تقوم بامورهم • ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله • اي ولا تذكروا آلهتهم

حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم بما كانوا عليه • بعلم • عالمين بظواهرهم وبواطنهم
او بمعلومنا منهم • وما كنا غائبين • عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم • والوزن • اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها
بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة
كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان
فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي انه عليه السلام قال انه ليأتي
بالعظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة • يومئذ • خبر المبتدأ الذي هو الوزن • الحق • صفته
او خبر محذوف ومعناه العدل السوي • فمن ثقلت موازينه • حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار
اختلاف الموزونات وتعدد الوزن وهو جمع موزون او ميزان • فاولئك هم المفلحون • الفائزون بالنجاة والثواب
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم • بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف
ما عرضها للعذاب • بما كانوا باياتنا يظلمون • فيكذبون بدل التصديق • ولقد مكناكم في الارض • اي مكناكم من سكناها
وزرعها والتصرف فيها • وجعلنا لكم فيها معايش • اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء
فيه زائدة كصحائف • قليلا ما تشكرون • فيما صنعت اليكم • ولقد خلقناكم ثم صورناكم • اي خلقنا اباكم آدم طينا غير
مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا
آدم ثم صورناه • ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • وقيل ثم لتأخير الاخبار • فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين • ممن سجد لآدم
قال ما منعك الا تسجد • اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة
على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد • اذ امرتك
دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور • قال انا خير منه • جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله
مأمورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به
فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا • خلقتني من نار وخلقته من طين • تعليل لفضله عليه وقد غلط
في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت

بيدي اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية
وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين
اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب. قال فاهبط منها
من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر
لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه. فاخرج انك من الصاغرين
ممن اهانه الله لتكبره قال عليه الصلوة من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله. قال انظرني الى يوم يبعثون
امهلني الى يوم القيامة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي. قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على
ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء
العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته. قال فبما اغويتني اى بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق
يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم
المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم. لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة
صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب
الظهر والبطن. ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من جميع الجهات الاربع مثل
قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من
بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل
ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن
ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى
الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف
عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه. ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة. قال

وقرئ مذوما كمسول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما
قال اخرج منها مذؤما من ذامه اذا ذمه
مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب
الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف
ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب. ويا آدم اى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا
هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء. فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين
ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب. فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وهي
في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسواس الحلي وقد سبق في البقرة كيفيته. ليبدي لهما ليظهر لهما
واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عوراتهما ولذلك عبر عنها بالسوأة وفيه
دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة مستقبح في الطباع. ما ووري عنهما من سوآتهما
ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور
كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها
واوا وادغام الواو فيها. وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه
انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا. وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما
على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم فجعل
ذلك مقاسمة. فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة
فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل. بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله
كاذبا او ملتبسين بغرور. فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما
العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم
او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا. وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة

عليهما من ورق الجنة • قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف
ويخصفان واصله يختصفان • وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين •
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم • قالا ربنا ظلمنا انفسنا •
اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة • وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين • دليل على ان
الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر وكذلك قالوا انما قالا
ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات • قال اهبطوا • الخطاب
لادم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا •
بعضكم لبعض عدو • في موضع الحال اي متعادين • ولكم في الارض مستقر • استقرار او موضع استقرار • ومتاع •
وتمتع • الى حين • تنقضي آجالكم • قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون • للجزاء • يا بني آدم قد انزلنا
عليكم لباسا • اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وانزلنا الحديد •
يواري سوآتكم • التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان
انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان فانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم • وريشا • ولباسا
تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب •
ولباس التقوى • خشية الله وقيل الحياء وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لبس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره
ذلك خير • او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا •
ذلك • اي انزال اللباس • من آيات الله • الدالة على فضله ورحمته • لعلهم يذكرون • فيعرفون نعمه او يتعظون
فيتورعون عن القبائح • يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان • لا يمحننكم بان يمنعكم من دخول الجنة باغوائكم •
كما اخرج ابويكم من الجنة • كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به •
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما • حال من ابويكم او من اخرج واسناد النزع اليه للتسبب • انه يراكم هو وقبيله •
من حيث لا ترونهم • تعليل للنهي وتأكيد التحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في

في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا. انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون. بما اوجدنا بينهم
من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة
الحكاية. واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف. قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله واعرض عن الاول لظهور
فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث
على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع
السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا
وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل
على خلافه لا مطلقا. اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله. قل امر ربي بالقسط
بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط. واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته
مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة. عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة
او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم. وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة فان اليه مصيركم. كما بدأكم كما انشأكم ابتداء. تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه
الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة
عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم. فريقا هدى بان وفقهم للايمان. وفريقا حق عليهم
الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا. انهم اتخذوا الشياطين اولياء
من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم. ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند
سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر. يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة
عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل
على وجوب ستر العورة في الصلوة. وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام
الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت. ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي

اخرج ابن مردويه وغيره بسند ضعيف عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد قال صلوا
في نعالكم له شاهد من حديث ابي هريرة عند الشيخ

الحرام او تفرط الشهوات او الشره وعنه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال
علي بن حسين بن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية كلوا واشربوا ولا تسرفوا • انه لا يحب المسرفين • اي لا يرتضي
فعلهم • قل من حرم زينة الله • من الثياب وسائر ما يتجمل به • التي اخرج لعباده • من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع • والطيبات من الرزق • المستلذات من المآكل والمشارب • وفيه دليل
على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار • قل هي للذين آمنوا
في الحيوة الدنيا • بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع • خالصة يوم القيمة • لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها
على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر • كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون • اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل
سائر الاحكام لهم • قل انما حرم ربي الفواحش • ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج • ما ظهر منها وما بطن •
جهرها وسرها • والاثم • وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر • والبغي • الظلم او الكبر افرده بالذكر
للمبالغة • بغير الحق • متعلق بالبغي مؤكد له معنى • وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا •
تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم ينزل عليه برهان • وان تقولوا على الله ما لا تعلمون •
بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها • ولكل امة اجل • مدة او وقت لنزول العذاب
وهو وعيد لاهل مكة • فاذا جاء اجلهم • انقضت مدتهم او حان وقتهم • لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون • اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول
يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي • شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر
جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون • والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في
الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد • فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته •
ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله • اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب • مما كتب لهم من الارزاق
والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه • حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم • اي يتوفون ارواحهم وهو

206

وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام • قالوا جواب اذا
اينما كنتم تدعون من دون الله • اين الآلهة التي كنتم تعبدونهم وما وصلت باين في خط
المصحف وحقها الفصل لانها موصولة • قالوا ضلوا عنا • غابوا عنا • وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين • اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه • قال ادخلوا • اي قال الله لهم يوم القيمة
او احد من الملائكة • في امم قد خلت من قبلكم • اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة
من الجن والانس • يعني كفار الامم الماضية من النوعين • في النار • متعلق بادخلوا • كلما دخلت
امة • اي في النار • لعنت اختها • التي ضلت بالاقتداء بها • حتى اذا اداركوا فيها جميعا • اي تداركوا
وتلاحقوا في النار • قالت اخراهم • دخولا ومنزلة وهم الاتباع • لاوليهم • اي لاجل اوليهم اذ الخطاب
مع الله لا معهم • ربنا هؤلاء اضلونا • سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم • فآتهم عذابا ضعفا من
النار • مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا • قال لكل ضعف • اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما
الاتباع فبكفرهم وتقليدهم • ولكن لا تعلمون • ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال
وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل • عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم
ورتبوا عليه اي وقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق
العذاب • فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون • من قول القادة او من قول الفريقين • ان الذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها • اي عن الايمان بها • لا تفتح لهم ابواب السماء • لادعيتهم
واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لارواح المؤمنين واعمالهم لتتصل بالملائكة والتاء
في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي
به وبالياء لان التأنيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب
بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله • ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة
وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالقفل والجمل كالنصب

والجمل كالجبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط
وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه
للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواشٌ على الغاء المحذوف
وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم
الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب
بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف
نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم
ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم
اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو
ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هدايته
وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها
مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا
وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا اذا رأوها
من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون
اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة
صفة تلكم وان في المواضع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال

ما وعدنا الان مما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعدهم كالبعث والحساب ونعيم
اهل الجنة. قالوا نعم. وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان. فأذن مؤذن. قيل هو صاحب الصور
بينهم. بين الفريقين. ان لعنة الله على الظالمين. وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي
ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال
الذين يصدون عن سبيل الله. صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب. ويبغونها عوجا
زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط
والرمح. وهم بالآخرة كافرون. وبينهما حجاب. اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة
والنار ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى. وعلى الاعراف. وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره
اعرف من غيره. رجال. طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي
الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين او علمائهم
او ملائكة يرون في صورة الرجال. يعرفون كلا. من اهل الجنة والنار. بسيماهم. بعلامتهم التي
اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب
كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة. ونادوا اصحاب الجنة ان سلام
عليكم. اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم. لم يدخلوها وهم يطمعون. حال من الواو وعلى الوجه الاول
ومن الاصحاب على الوجوه. واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا. تعوذا بالله. ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين. اي في النار. ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم
من رؤساء الكفرة. قالوا ما اغنى عنكم جمعكم. كثرتكم او جمعكم المال. وما كنتم تستكبرون. عن
الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة. اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة تحتقرهم في الدنيا
ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة. ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون. اي فالتفتوا

الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا
وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض
الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره ادخلوا او دخلوا
مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه
وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة
او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم
منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت
واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم
الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم
هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين
انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام و
المواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم
بعلمه او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين
بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون
الا تاويله اي ما يؤل اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي
تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق
اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى
الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين
وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف

اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ
دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ
وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث
على التأني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن
الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر
عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير
يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة
مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال
وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف
تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق
الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو
الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع
الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى
ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور
نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل
في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد

قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام
اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم ما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء
الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته
فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم
تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين
ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود
الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون
في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك
من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر
والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف
من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة
الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة
بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر
كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث
وقع والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول
مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ
وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته
يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تذره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت سحابا
اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله ثقالا بالماء وجمعه لان السحاب بمعنى السحائب

سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ
ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل
فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان
لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج
الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات
والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس
لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج
نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة
والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام
والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ
يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك
نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن
تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف
ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها
ونوح بن لملك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا
الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتا او بدلا على اللفظ
وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اي ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي
الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤون العيون
رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال
بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما
يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالة

قوله اي ذوي تضرع فيكون حالا من فاعل ادعوا بحذف
المضاف واعراب المضاف اليه باعرابه ويجوز ان يكون المصدر
بمعنى الفاعل متضرعين ومختفين وفي الانعام
وسترين فجعل التضرع مقابلا للخفية لان المراد
هنا حكاية دعائهم لا الامر به ولو حمل ههنا
ايضا عليهما لاستويا وقد ثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الدعاء
جهرا وفضل الدعاء خفية
والا يكون منصوبا على المصدر
اي دعاء تضرع وخفية
وفيه اولا
فيكون المعنى

قوله جواب قسم محذوف
اي هو جواب قسم محذوف
تقديره والله لقد ارسلنا
وفي الكشاف فان قلت ما لهم
لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع
قد وقل عنهم بحذف
لانها حذفت
القسم
الذي هو جواب
فلا عند استماع المخاطب كلمة القسم
منصوبا
بالواو
عاطف
محلوه لانه اول من
ما هنا

[illegible]

قوله لانه مظنة التوقع هو معنى كلام الكشاف الذي قررناه ولا وقع بينهما
كما توهم وفي شرح التسهيل بسط لهذه المسئلة والاعتراض بقوله تعالى انه
ويكون وهم لان الكلام في الماضي والمراد بالتوقع توقع الاعلام به لانه ماض
قوله اي اعبدوه وحده فسره به لان الالة ما بعده عليه لان الاله المعبود وحده
ولانهم معترفون بعبادته وهي مع الشرك كلا عبادة وغيره في بالحركات
الثلث بالنصب على الاستثناء والجر على النعت والبدل من اله والرفع
باعتبار محله قوله ان لم تؤمنوا كان الظاهر ان لم تعبدوا ولكن لما كانت
عبادته تستلزم الايمان به قدر ذلك وكون المراد باليوم يوم الطوفان
لانه اعلم بوقوعه انهم لم يؤمنوا قوله اي الاشراف لانهم يملؤن
الرجال ولذا حسن النظر وملء العيون مجاز عن زيادة حسنهم في النظر وقيل
لانهم مليئون اي قادرون على ما يراد منهم من كفاية الامور ويملؤن
المجالس بابهتهم وعظمهم

قوله ليس بي ضلالة
اي شي من الضلال الضلالة اخص
من الضلال فكانت ابلغ في نفي
الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي
شي من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت
مالي تمرة وفي المثل السائر الاسماء الواقعة على الاجناس
على الجنس التي يفرق بينها وبين واحدها بالتاء متى اريد النفي كان
استعمال الواحد ابلغ ومتى اريد الاثبات كان استعمالها ابلغ كما في هذه الاية
وليس الضلالة مصدرا كما توهم بل هي عبارة عن المرة الواحدة من الضلال فقد نفى ما فوق ذلك
فاذا نفى نوح عليه السلام عن نفسه الضلالة فقد نفى عنه الضلال وقد اعترض عليه
ذلك بوجوه منها ما قيل انه غير مستقيم لان نفي الاخص اعم من نفي الاعم فلا يستلزمه
ضرورة ان الاعم لا يستلزم الاخص بخلاف العكس الاترى انك اذا قلت هذا ليس بانسان لم يلزم ان لا يكون
حيوانا ولو قلت هذا ليس بحيوان لزم ان لا يكون انسانا فنفي الاعم كما ترى ابلغ من نفي الاخص
وانما جعل التاء للوحدة كتمرة بمعنى تمرة واحدة وعندي تمر بمعنى تمر كثير وقد قال في الجامع الكبير
والضلالة بمعنى واحد والاظهر ذلك فقال ليس عندي تمرة واحدة بل تمرات وليس لهما تناقضا فقوله
كالوا ظهر ذلك فقال ليس بي ضلالة بمقابلة الضلال بالضلالة ونفيها عند قصد المبالغة في الهداية بدل على
ليس بي ضلالة الا ان مقابلة الضلالات المختلفة الانواع ورد بانهما وان جاءا في اللغة بمعنى واحد
كالملال والملالة والمرة والتاء للوحدة فيكون بعضا من جنس الضلال وفردا واحدا منه ويؤول معناه
الى انه لا يطلق عليه اسم الضلال ولهذا معنى كونه اخص والابعد نفسه بالاقل فردا وظاهر ان
نفي ابلغ من نفي الجنس المحتمل للكثرة والانصراف الى الكمال كما يحتمل نفس الماهية ولا كذلك
رجوع النفي الى المرة الى الوحدة بمعنى ليس ضلالة بل ضلالات كما في ما جاءني رجل بل رجلان
لانه مضمحل في هذا المقام لاجمال الوهم فيه وسقط ما اورد على ذلك رقة واعنى غاو نغ
هنا الشرح من القول والقال واليه اشار المصنف بجراته نفى عن نفسه بقوله شي
من الضلال فتدبر وقوله بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات حيث اكدوا كلامهم
ملابسة ضلالة واحدة وبالفوا في الاثبات حيث اكدوا كلامهم وقوله وعرض لهم به
بان واللام وجعلوا الضلال ظرفا له وقوله النفي به بنقيض انه ثابت
لان تقديم القيد للاختصاص لان التعريض لانه من عرض الكلام ومفهومه
لهم وهو قوله بالتعريض

ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفة رسول او استيناف ومساقها على الوجهين
لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع
معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف
شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما
اوعدهم به لان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها
اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم
ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم
كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في اباينا
الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون
بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي
ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من
امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن به
في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او من الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول
ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد
منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن
سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم
لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استيناف
ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل لهم وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله
وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملا الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم
من امن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة العقل راسخا فيها حيث

جعلت دين قومك ضلالا وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من
رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح
والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه
بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا
فان شداد بن عاد ممن ملك الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عذاب الله ثم ذكرهم بانعامه
وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم
ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا
استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به اباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه
ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم
ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه
قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم
ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها الهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات
هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال اية او بنصب حجة بين ان منتهى
حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى الهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من
لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية
اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر
فانتظروا لما وضح لكم الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه
والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم
وما كانوا مؤمنين تعريض بمن امن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان

دونه انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله
القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا
الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم
وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه
وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة
ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا الغماما فيسقي
ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد
والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبس عنا
لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا
ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا
وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة
وعبدوا الله فيها حتى ماتوا. والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر
بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي او
باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى. اخاهم صالحا صالح
بن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية
استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز
ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها
ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تاكل في

في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع
الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا تبنون في سهولها او من
سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون
بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون
فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه عن الايمان من
قومه للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا
بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه
على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله
اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال قال الذين
استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه
معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم
وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح
ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين
روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من
الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا
من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك
وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن
عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاتبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء
وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء

قوله واذكروا اذ اي اذكروا نعمة وقت جعلكم خلفاء من بعد عاد وفي اللباب لما اهلك الله عادا عمر ثمود بلادها
وخلفوهم في الارض ويوافقه تقرير الشيخين قصتهم فهم خلفاء عاد لا خلفاء مخلفاتهم فمن قال انما قال الخلفاء
من بعد عاد ولم يقل من عاد لما بينهما اخلاف فهم خلفاء عاد بالذات فقد اخطأ في مواضع قوله
وبوأكم في الارض بوأه انزله منزلا يتعدى الى اثنين حذف ثانيهما هنا وذكر في آل عمران الجوهري
بوأت للرجل بوأته منزلا وبوأته منزلا هيأته له وفي الارض متعلق ببوأ ذكر توطئة تتخذون من
سهولها قصورا اي تبنون في سهولها فمن بمعنى في او من سهولة الارض اي تبنون منها بما تعملون منها كاللبن
والآجر فمن للتبعيض او للابتداء والباء في بما تتعلق بتبنون على الوجه الثاني يريد بيان اتخاذ القصور من سهولة الارض

١٩٧

قوله ما فعلها قبلكم احد الخ فسره بذلك لان عدم السبق في نفس معناه ذلك وان كان
يحتمل مساواة الغير فيها وقوله قط اشارة الى استغراق النفي في الماضي الذي
افاده النظم وكون اختراع السوء سيئة اسوء ظاهر اذ لا مجال للاعتذار
عنه واذا كان فيها كما هو عادتهم بقولهم انا وجدنا فتامل قوله والباء للتعدية
في الكشاف الباء للتعدية لقولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابو حيان رحمه الله تعالى التعدية هنا
قلقة جدا لان الباء المعدية في الفعل المتعدي لواحد يجعل المفعول الاول يفعل
ذلك الفعل بما دخلت عليه الباء كالهمزة فاذا قلت صككت الحجر بالحجر كان معناه
اصككت الحجر الحجر اي جعلت الحجر يصك الحجر وكذلك دفعت زيدا بعمرو
عن خالد معناه ادفعت زيدا عمرا عن خالد اي جعلت زيدا يدفع عمرا عن
خالد فللمفعول الاول تاثير في الثاني ولا يصح هذا المعنى هنا اذ لا يصح
اسبقت زيدا الكرة اي جعلت زيدا يسبق الكرة الا بتكلف وهو ان يجعل
ضربك الكرة اول ضربة قد سبقها وتقدمها في الزمان فلم يجتمعا فالظاهر ان
الباء للمصاحبة اي ما سبقكم احد مصاحبا وملتبسا بها وليس بشيء بل
المعنى على التعدية ومعنى سبقته بالكرة اسبقت كرتي كرته لان السبق بينهما
لا بين الشخصين او الضربين وكذا في الآية ومثله يفهم من غير تكلف ولذا
قيل في معناه سبقت ضربة الكرة بضربي الكرة اي جعلت ضربي الكرة سابقا
على ضربه الكرة وهذا معنى قوله اذا ضربتها قبله قوله والجملة مستانفة
اي استئنافا نحويا او بيانيا كما في الكشف كانه قيل لم لا نأتيها فقال ما سبقكم
بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا اليه من المنكرات لانها اشد ولا يتوهم ان سبب
انكار الفاحشة كونها مخترعة ولولاه لما انكر اذ لا مجال له
بعد كونها فاحشة ولم يجعل من قبيل ولقد امر
على اللئيم يسبني لتعين الفاحشة
لكنه جوز فيها الحالية
من الفاعل
او المفعول

كما صعقوا وهم ينظرون ثم نبحث ولا امثلها في العظم قاس بن جندع بن عمرو في جماعة وضوا الى فني
من الايمان دواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صعر كاهنهم فمكث الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وترد الماء غبا فاذا فرغ راسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تنفحج فيحلبو
ما شاؤوا حتى تملى اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم
الى بطنه وتشتو ابطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها عنيزة
ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا
ثلثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يدفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة
ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان
ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت
قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون
الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما
خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا او قال القول وقت قوله
لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح
ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد
النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان
الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله
اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف
وشهوة مفعول له او مصدر وقع موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على
ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم

مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد
الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم
قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤا بما يكون جوابا
عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا
انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امرأته فانها كانت
تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا
عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله
الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوا من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر
عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم
شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصى
موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع
عصى آدم على يده في المرات السبع متأخر عن هذه المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا
لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش
لقوله والميزان كما قال في سورة هود او اريد اوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان
مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها
على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم
بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين

اشارة الى العمل بما امرهم ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة
وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان
كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كانوا اذا رأوا احدا يسعى في شيء منها منعوه
وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويتوعدون
لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع
الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان
بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول
توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موضع الحال من تقعدوا وتبغونها عوجا
وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبهة او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم
او عددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا
بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى
يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب عليه السلام لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز
عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى
الجواب قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف
دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال
اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه
باطل وما كنتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان

ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم
طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا
ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق
من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه
لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبداله ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم
بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة
وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين
الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون
في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى
عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على
نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله
اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق
فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا
اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا عليه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين
حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا
الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء
والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون بنزول العذاب
ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها

آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير
ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذنا
هم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا بيتا او وقت بيات او مبيتا
او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون
حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوامن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون
على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون
من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة
لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر
وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون
ديارهم وانما عدي يهدي باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم
بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد وابالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على
ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم
على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار
تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرها نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد
وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه
من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم
الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا
للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين
شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من

من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب
الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان
وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة
وذلك لا يجوز الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا
ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون
وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع
كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة
قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قراه نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى
الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه
حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع
على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حالة حسنة ويؤيده قراءة
ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى
يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان
كنت جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت
من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو
الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين
فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك
وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي

بيضاء للناظرين أي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة أو بيضاء للناظرين لا أنها
كانت بيضاء في جبلتها روي أنه كان آدم شديد الأدمة فأدخل يده في جيبه أو تحت إبطه ثم نزعها
فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم
قيل قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في أمره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا
يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون تشيرون في أن نفعل قالوا أرجه وأخاه وأرسل في
المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به إلى فرعون والإرجاء
التأخير أي أخر أمره وأصله أرجئه كما قرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئهو على قراءة
ابن كثير على الأصل في الضمير أو أرجهي من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسماعيل والكسائي وأما قراءة
قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل
بالمتصل وجعل جه كإبل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء
لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ
حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما أرسل
الشرط في طلبهم قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين استأنف به كأنه جواب سائل قال ما قالوا إذ جاءوا
وقرأ ابن كثير ونافع وحفص إن لنا على الإخبار وإيجاب الأجر كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم
قال نعم وإنكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا
يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للأدب وإظهار الجلادة ولكن كانت
رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أو تأكيد ضميرهم
المتصل بالمنفصل فلذلك قال بل ألقوا كرما وتسامحا أو ازدراء بهم ووثوقا على شأنه فلما ألقوا سحروا
أعين الناس بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم
وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب
بعضها بعضا وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فألقاها فصارت حية فإذا هي تلقف ما يأفكون أي

اى ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل
بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى
هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين
جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم
ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم
وشدته قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون
قال فرعون آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب
بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اى ان هذا الصنيع
لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم
ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه
للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا
منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم
استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيركم الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا الا ان
امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واجل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك
ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا
من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به
وقيل لم يقدر عليهم لقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام

بالواو كقول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء على معنى أيكون منك ترك موسى
ويكون تركه إياك وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر أو استئناف أو حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا
ويذرك كقوله فأصدق وأكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناما
وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه ولذلك قال أنا ربكم الأعلى وقرئ وإلاهتك أي عبادتك قال سنقتل
أبناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذي
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وإنا فوقهم قاهرون
غالبون وهم مقهورون تحت أيدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا
منه تسكينا لهم إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للأمر بالاستعانة بالله
والتثبت في الأمر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من إهلاك القبط وتوريثهم
ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم إن واللام في الأرض يحتمل الجنس والعهد قالوا أي
بنو إسرائيل أوذينا من قبل أن تأتينا بالرسالة بقتل الأبناء ومن بعد ما جئتنا بإعادته قال
عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض تصريحا بما كنى عنه أولا لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك
ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم وقد روي أن مصر إنما فتح لهم
في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على
حسب ما يوجد منكم ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الأمطار والمياه والسنة غلبت
على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل أسنت القوم إذا قحطوا ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا أو لترق
قلوبهم بالشدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده فإذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه
لأجلنا ونحن مستحقوها وإن تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا
ما أصابتنا إلا بشؤمهم وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فإن الشدائد ترقق القلوب
وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا

في الغي وإنما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بإحداثها بالذات
ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد بها إلا بالتبع ألا إنما طائرهم عند الله
أي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته أو سبب شؤمهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده فإنها
التي ساقت إليهم ما يسوءهم وقرئ إنما طيرهم وهو اسم جمع وقيل هو جمع ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما
يصيبهم من الله أو من شؤم أعمالهم وقالوا مهما أصلها ما الشرطية وضمت إليها ما المزيدة للتأكيد
ثم قلبت ألفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع
على الابتداء أو النصب بفعل يفسره تأتنا أي أيما شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وإنما سموها آية على زعم
موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين أي لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا
والضمير في به وبها لما وذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنث بعده باعتبار المعنى فأرسلنا عليهم
الطوفان ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر أو سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل
الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها والضفادع والدم
روي أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى
قاموا فيه إلى تراقيهم وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على أراضيهم فمنعهم
من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم أسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك
فدعا فكشف عنهم ونبت لهم الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد
فأكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانيا فدعا وخرج إلى
الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم
القمل فأكل ما أبقاه الجراد وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه فرفع عنهم
فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام
إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند التكلم
ففزعوا إليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد ثم أرسل الله عليهم الدم

فقاربت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع بني اسرائيل على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي
ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب على الحال
مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمة عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان
بين كل آيتين شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة
عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم
الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع
او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم
مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت
الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث
من غير توقف وتأمل فيه فانتقمنا منهم فاردنا منهم الانتقام فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره
وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها
حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله
ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا خربنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون
من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله
عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا
للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء
بعد مهلك فرعون وقومه فصاموا شكرا فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم
يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين
امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها
مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق
واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر
مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا
وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام
بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين
الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما
مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين
والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من
امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون
واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم
او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ
ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه السلام
وعد بني اسرائيل ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك
سأل ربه فامره ان يصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك

وافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه
التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح
في امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما
جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير
وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع
كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك
او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال
وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى او لن اريك او لن تنظر الي تنبيها
على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا
ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا
الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد
خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان
يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد به ان يبين انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية
بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل زبير فلما تجلى ربه
للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا
مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه
ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول
ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت اليك من الجراة والاقدام على السؤال
بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه وانا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا
قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهارون وان كان

نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرا ابن كثير
ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من
الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطى التورية يوم النحر وكتبنا
له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور
اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت زمرد
او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده او شقها باصابعه وكان فيها
التورية او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح
او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا باحسنها باحسن
ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريق الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا
احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن
مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين
دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا ولا تفسقوا او
دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده
قوله واورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون في الارض
بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل
فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم
الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقلهم
بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم و
السقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك

التصرف بسببها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في الآخرة

حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى

من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروها من القبط حين هموا بالخروج من مصر

واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة

والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب

خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من

تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب

الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح

الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين

اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام

والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير

موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم

المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه

سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال

التوراة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا

على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني

من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب

لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة

خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد

التنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق

فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت

فهمه وعمرو في الكشاف تبينوا ضلالهم

تبينا كأنهم ابصروه بعيونهم وانما جعلها

بصيرة مجازا عن الكشاف ذلك لهم انكشافا

تاما كالامر المحسوس ولم يتعرض لسانه فحملها

على تسليم الكلام من القلب الذي توهمه بعض

المفسرين لان الندم انما يحصل لهم بعد تبين

الضلال لا تراه وان كان كذلك لكنه بعد ينكشف

انكشافا تاما لا يمكن اخفاؤه فلا حاجة

الى ما قيل فان قلت تبين الضلال يكون

سابقا على الندم فلم تأخر عنه قلت لان الانتقال

من الجزم بالشيء الى تبين الجزم بالنقيض

لا يكون دفعة في الاغلب بل الى الشك ثم

الظن بالنقيض ثم الجزم بالنقيض ثم تنبيه

والقوم كانوا جازمين بان ما هم عليه

صواب والندم عليه تمام قبل لهم حال

الشك فيه فقد تأخر تبين الضلال

عنه من تبين ه

الامم بعد انبيائهم • والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التوراة
كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل
شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام • واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر
في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل • قال ابن ام
ذكر الام ليرق عليه وكان من اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يا ابن ام واصله
يا ابن امي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف
لطوله او تشبيها بخمسة عشر • ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه
والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي • فلا تشمت بي الاعداء • فلا تفعل بي
ما يشمتون بي لاجله • ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير • قال
رب اغفر لي ما صنعت باخي • ولاخي ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة
عنه • وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا • وانت ارحم الراحمين • فانت ارحم بنا منا على انفسنا • ان الذين اتخذوا
العجل سينالهم غضب من ربهم • وهو ما امرهم به من قتل انفسهم • وذلة في الحيوة الدنيا • وهي خروجهم
من ديارهم وقيل الجزية • وكذلك نجزي المفترين • على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى
ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم • والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي • ثم تابوا من بعدها
من بعد السيئات • وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة • ان ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور رحيم • وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثرت جرائم بني اسرائيل • ولما سكت سكن وقد قرئ به
عن موسى الغضب • باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب
الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت
هو الله او اخوه او الذين تابوا • اخذ الالواح • التي القاها • وفي نسختها • وفيما نسخ فيها اي كتب
فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة • هدى • بيان للحق • ورحمة • ارشاد
للصلاح والخير • للذين هم لربهم يرهبون • دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول

اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل
واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة •• روى البخاري ومسلم والنسائي

قوله التي استعاروها من القبط الخ
وقيل القاها البحر على الساحل بعد غرقهم قال
الامام رحمه الله روي انه تعالى لما اراد اغراق فرعون
وقومه لعلمه انه لا يؤمن احد منهم امر موسى عليه السلام
بني اسرائيل ان يستعيروا الحلي من القبط ليخرجوا
خلفهم لاجل المال او لتبقى اموالهم في ايديهم
فقيل عليه انه مشكل لكونه امرا باخذ مال الغير
بغير حق وانما يكون غنيمة بعد هلاكهم مع ان
الغنائم لم تكن حلالا لهم لقوله صلى الله عليه وسلم
اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي احلت لي
الغنائم الخ وقد قال المفسرون في قوله تعالى
في سورة طه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم
اراد بالاوزار انها كانت تبعات وآثاما لانهم
كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب فلا
يحل لهم اخذ مالهم مع ان الغنائم لم تكن تحل لهم
وهذا مخالف لما ذكر وقد اشار بعضهم الى
دفعه بالاشارة فقد يرد عليك ان تقول انهم
لما استعبدوهم بغير حق واستخدموهم واخذوا
اموالهم وقتلوا اولادهم ملكهم الله ارضهم وديارهم
قال الارض لله يورثها من يشاء من عباده وكان ذلك
بوحي من الله لا على طريق الغنيمة وفي كلام الكشاف
اشارة اليه ويكون هذا على خلاف القياس
وكم في الشرع من مثله •

واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم. واختار موسى قومه أي من قومه فحذف الجار وأوصل
الفعل إليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة روي أنه تعالى أمره أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل
فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد أجر من
خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا
سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل
وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر أو عنى به أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك
بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر وغيرها فترحمت عليهم بالإنقاذ منها فإن ترحمت عليهم مرة أخرى
لم يبعد من عميم إحسانك أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان
ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنهم
فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم
موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا
في الرؤية أو أوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلالته بالتجاوز عن حده أو باتباع
المخائل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها إيمانه أنت ولينا القائم بأمرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا
وارحمنا وأنت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن
معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ
بالكسر من هاده يهيده إذا أماله ويحتمل أن يكون مبنيا للمفعول بمعنى أملنا أنفسنا أو أملنا إليك
ويجوز أن يكون المضموم أيضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي أصيب به من أشاء
تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها
في الآخرة أو فأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها
بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين

الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم أو خبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل من الذين
يتقون بدل البعض أو الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وإنما سماه رسولا بالإضافة إلى الله
ونبيا بالإضافة إلى العباد الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله إحدى
معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين
القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه
أي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصله المنع
ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أي مع نبوته يعني القرآن وإنما سماه نورا
لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا
أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون إشارة إلى اتباع الكتاب والسنة أولئك هم المفلحون
الفائزون بالرحمة الأبدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم
الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى كافة الثقلين وسائر الرسل إلى أقوامهم
جميعا حال من إليكم الذي له ملك السموات والأرض صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق المضاف
إليه لأنه كالمتقدم عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره لا إله إلا هو وهو على الوجوه الأول
بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية
فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من
كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به
لم يعتبر إيمانه وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع له
واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام
شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني من بني إسرائيل أمة يهدون بالحق يرشدون به

الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون
بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم من بعض اثنتي عشرة مفعول ثان
لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او
تمييز له على ان كل واحدة اثنتي عشرة اسباطا فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها
امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ
استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء
على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا
قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن و
السلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره
في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم
وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم
للاكل منها ولم يتعرض له هاهنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له
في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران
والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به
وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد
وقرأ ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
مضى تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا
تعلم الا بتعليم او وحي ليكون لك ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة
منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجا

يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل
الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويُعِدّون
من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم
شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة
لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
وقرئ لا يُسبِتون من اسبت ولا يُسبَتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال
من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون
مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت
والباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم
الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم
عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ
ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة
اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر
الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا
به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك
الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيأس على فيعل
كضيغم وابن عامر بِئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ به فخفف عنه بنقل حركتها الى الفاء ككِبد
في كَبِد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بَيِس
كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيْس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما
نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين

لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا
بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي
ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق
فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا
انسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد
ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد
والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله و
لذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى وإذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود
من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم
وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع
العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث
لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة
او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن
الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات اي بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون
عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد
والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا
الكتاب التوراة من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء
الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم
والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال
والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة

المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا
على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة
والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه
تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك
ولا يستبدلون الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب
بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون
اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح
كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات
واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظل
وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن
لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم
ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي قلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون
قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما
يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار
حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف
على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا
غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان يقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة
انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم
به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل الخلق آدم

اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والفهم ذلك الحديث رواه عمر رضي الله عنه
وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود بمقتضى
الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد
وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل
واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت كان قد قرأ
الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به
او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه
الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سألوه ان يدعو
على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا
لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى
السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما علق رفعه بمشيئته تعالى
ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدم المشيئة دلالة
انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة
في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع
موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله
صفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوان لضعف فؤاده
والدلع اللسان عن التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع
موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه
فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص المذكورة
على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيتفكرون تفكرا يؤديهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم

اخرج احمد والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اخذ الميثاق من ظهر آدم من نعمان اي بنعمان يوم عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه ثم كلمهم قبلا الست بربكم قالوا بلى واخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية اخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ـ اتقان

قيل لما بعث الله جبريل وميكائيل عليهما السلام ليقبضا قبضة من الارض فابت حتى بعث الله عزرائيل عليه السلام فقبض قبضة من الارض وكان ابليس قد وطئ الارض بقدميه فصار بعض الارض بين قدميه وبعض الارض موضع اقدامه فخلقت النفس مما مس قدم ابليس فصارت مأوى الشر وبعضها لم يصل اليه قدم ابليس فمن تلك التربة اصل تربة الانبياء عليهم السلام والاولياء فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم ابليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفر الحظ من العلم فبعثه الله بالهدى والعلم وينتقل من قلبه الى القلوب ومنه الى النفوس فوقعت المناسبة في اصل طهارة طينته ووقع التألف بالتعارف الاول فكل من كان اقرب مناسبة كان اوفر حظا من قبول ما جاء به

عوارف

القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها
وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب
الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتجاوزها
ولذلك قدم المفعول من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى
والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول
والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار
في الاخبار عمن هدى الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال ونفع عظيم لو لم يحصل
له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن
والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله
ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات
والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر
او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن
لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم
يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة
على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين
يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا
كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة
او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز
لا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون
بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما
بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين

مع الواو لان الشرط لصدارته لا يكاد يرتبط بما قبله الا ان يكون هناك فضل قوة نعم يجوز اذا خرجت عن حقيقتها بان عطف عليه نقيضه او لم يعطف ولا بد في الاول من حذف الواو آتيك ان تأتني او لم تأتني لانه يحول الى معنى التسوية كالاستفهام واما الثاني فلا بد فيه من الواو نحو آتيك وان لم تأتني اذ لو حذفت التبس بالشرط الحقيقي وقال الطيبي ان الآية من القسم الاول ولذا تركت الواو لان المعنى حمل عليه او لم يحمل فات المعروف فيه ترك الجواب **و**حمل الظاهر الشرطية بيانا وتفسيرا للمثل كقوله كمثل آدم خلقه من تراب وفيه نظر لان التمثيل في حالة لا في الترك وعدمه فتدبر **قوله** والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الخ المراد بالتمثيل مطلق التشبيه بالمعنى اللغوي ويحتمل ان يراد معناه المعروف والمراد بلازم التركيب انه لم يرفع بل اذل واهين ولازم الشيء يدل عليه بطريق البرهاني وبينته انه بيان فلذا قال المبالغة والبيان ولان التمثيل بالنسبة الى اصل المعنى كناية وهي ابلغ من التصريح والبيان لكونه تصويرا للمعقول بالمحسوس ولذا قيل اراد بلازم التركيب ما هو لازم نتيجته فان ما له الصورة قياس استثنائي استثني فيه نقيض المقدم وليس المراد به الاستدلال بانتفاء المقدم على انتفاء التالي حتى يقال انه غير منتج لان المقدم ملزوم للتالي ولا يلزم من نفي الملزوم نفي اللازم بل المراد الاخبار بان سبب انتفاء التالي في الخارج هو انتفاء المقدم فيه ونظيره ما قيل في قول النحاة لولا لانتفاء الثاني لانتفاء الاول

قوله تصريح بان الهدى والضلال الخ كله ظاهر الا قوله مستلزمة للاهتداء فانه مبني على تفسير الهداية بالدلالة الموصلة لا الدلالة على ما يوصل والكلام فيه مشهور او انها بمعنى الدلالة على الموصل واريد بها فردها الكامل لاسنادها الى الله ولتفريع الاهتداء عليها ومقابلتها بالضلال ومامعه **و**قوله والافراد في الاول اي افراد الضمير رعاية للفظ من وجمعه رعاية لمعناها ووجهه ما ذكره من ان الحق واحد والضلال طرق متشعبة

في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلوة والسلام لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فازدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه الصلوة والسلام من جنة جنون روي انه عليه الصلوة والسلام صعد على الصفا وكان يدعوهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر الاستدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون اي يتحيرون حال منهم يسألونك عن الساعة عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان

ايان مرسيها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض آوى الى الكل قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تأتيكم الا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه الصلوة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفي عنها تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه اي تكره السؤال عنها لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني السوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به

فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب
او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء
للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين
لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء
فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناة على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه
فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس
في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك
وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك
خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وامثال ذلك
لا تليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان له زوج من جنسها
عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي
وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة
بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون
لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى
الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان
يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل
ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم كانوا ابدا يدعونها
لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون
من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم
ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا
احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال

ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ
ان الذين بالتخفيف ونصب عباد على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم هنا
وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون
عليه من مكر وهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه
ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين
من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال
الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل
وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض
عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها
واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء
غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق
ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه
او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان ان
الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت
حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب
طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها
ولا يتبعونه فيها والآية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين
لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم

بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم

ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان

الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له واذا لم تأتهم بآية من القرآن او مما

اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه او هلا طلبتها من الله

قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن

بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ

القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة

الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما واحتج به

من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما

او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى تضرعا وخيفة متضرعا

وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص

بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل موافق

للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعنى الملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون

عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل

لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته

وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول

يا ويلتى امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عليه

الصلوة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين

ابليس سترا وكان آدم شفيعا له

يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وهى خمس او ست او سبع وسبعون آية بسم الله

في ذلك اليوم صح

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الأنفال أي الغنائم يعني حكمها وإنما سميت الغنيمة نفلاً لأنها عطية من الله وفضل
كما سمي به ما يشرطه الإمام للمقتحم خطراً عطية له وزيادة على سهمه قل الأنفال لله والرسول أي أمرها مختص
بهما يقسمها الرسول على ما أمره الله تعالى به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن
يقسم المهاجرون منهم أو الأنصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء أن ينفله فتسارع
شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلاً فقال الشيوخ والوجوه الذين
كانوا عند الرايات كنا ردءاً لكم وفئة تنحازون إليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا
قيل لا يلزم الإمام أن يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه الله وعن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل أخي
عمير فقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا
لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلاً
حتى نزلت سورة الأنفال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب
فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن فيها ويسألونك
الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة وأصلحوا ذات بينكم الحال
التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله والرسول وأطيعوا الله ورسوله فيه
إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يقتضي ذلك أو إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان بهذه الثلاثة طاعة الأوامر
والاتقاء عن المعاصي وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان إنما المؤمنون أي الكاملون في الإيمان الذين إذا ذكر
الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله وقيل هو الرجل يهم
بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفاً من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت أي خافت وإذا
تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة أو
بالعمل بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه وعلى
ربهم يتوكلون يفوضون إليه أمورهم ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم

117

فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله
وأصلحوا ذات بينكم أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال
حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى
ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أي فاتقوا الله
وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به قال عبادة وفينا
معشر أصحاب بدر حين اختلفنا
في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا
فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء
وأطيعوا الله ورسوله فيما أمرتم به في الغنائم وغيرها إن كنتم
مؤمنين كاملي الإيمان إنما المؤمنون إنما الكاملو الإيمان
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره
استعظاماً له وتهيباً من جلاله وعزة سلطانه وإذا تليت
عليهم آياته القرآن زادتهم إيماناً ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة
لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه أو زادتهم إيماناً
بتلك الآيات لأنهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل وعلى ربهم يتوكلون
يعتمدون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه
تفسير مدارك

ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم الاعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخراجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء واخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا

فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله فقال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قولهم ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه قيل له عليه الصلوة والسلام لما فرغ من بدر عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه السلام كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فرسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها

ولو كره المجرمون ذلك. اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار
اذكروا واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون رب انصرنا على عدوك اغثنا
يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة
فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في
الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك
ما وعدك. فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على
ارادة القول او اجرى استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول. بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين
او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من
اردفته اياه فردفه وقرأ يعقوب ونافع مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة
الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت
التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق
ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها. وما جعله الله
اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم
وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط
لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها. اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف
من اغشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع
امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون و
يغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة
الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم

فكأنه حصلت له امنة من الله لولاها لما غشيهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود
وقرئ امنة كرحمة وهي لغة. وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة. ويذهب عنكم رجز
الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب
اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان
وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم
رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب
واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة. وليربط على
قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم. ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى
تثبت في المعركة. اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت. الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو
مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه. فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم
او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله. سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه
دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سألقي الى
قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا. فاضربوا فوق الاعناق اعاليها
التي هي المذابح او الرؤوس. واضربوا منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم. ذلك اشارة
الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل. بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم
لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من
الخصم وهو الجانب. ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم
في الآخرة بعدما حاق بهم في الدنيا. ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريق الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم
واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة. وان للكافرين
عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع
الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف
الصبي إذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الأدبار بالانهزام
فضلا عن أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم والأظهر أنها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز أن ينتصب
زحفا حالا من الفاعل والمفعول أي إذا لقيتموهم متزاحفين يدبون إليكم وتدبون إليهم فلا تنهزموا أو من الفاعل
وحده ويكون إشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفا ومن يولهم يومئذ دبره
إلا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فإنه من مكائد الحرب أو متحيزا إلى فئة أو منحازا
إلى فئة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان
في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا إلى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون
وأنا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال وإلا لغو أو على الاستثناء من المولين أي إلا رجلا متحرفا
أو متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه
جهنم وبئس المصير هذا إذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة
بأهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب
في قلوبهم روي أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل وقال له خذ قبضة من التراب فارمهم بها
فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا
شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول
الرجل قتلت وأسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصل إلى أعينهم ولم تقدر عليه إذ رميت أي أتيت بصورة الرمي
ولكن الله رمى أتى بما هو غاية الرمي فأوصلها إلى أعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد
عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه وما رميت بالرعب إذ رميت
بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل إنه نزل في طعنة طعن بها أبي بن خلف يوم أحد ولم يخرج منه

دم فجعل يخور حتى مات أو رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فأصاب كنانة بن أبي الحقيق على فراشه
والجمهور على الأول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي
المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات إن الله سميع
لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم وأحوالهم ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن أو القتل أو الرمي ومحله الرفع
أي المقصود أو الأمر ذلكم وقوله وأن الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه أي المقصود إبلاء المؤمنين
وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن
كيد بالإضافة والتخفيف إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم
حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين
وإن تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وإن تعودوا
لمحاربته نعد لنصره ولن تغني عنكم ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الإغناء أو المضار ولو كثرت فئتكم
وأن الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأن بالفتح على ولأن الله مع المؤمنين كان
ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال
والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار أو تهييج العدو ولن تغني
حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فإنه مع الكاملين إيمانهم ويؤيد ذلك يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
ورسوله ولا تولوا عنه أي ولا تتولوا عن الرسول فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه
وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله
وقيل الضمير للجهاد أو للأمر الذي دل عليه الطاعة وأنتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به
فكأنهم لا يسمعون رأسا إن شر الدواب عند الله شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم الصم عن الحق
البكم الذين لا يعقلون إياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله ولو علم
الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات لأسمعهم سماع تفهم ولو أسمعهم وقد علم أن لا خير فيهم

لوتركوا ولم يتشفعوا وارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي
احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين امنوا
استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي
انه عليه الصلوة والسلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي
قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة
ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب
الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت
وثوبه كفن او مما يورثكم من الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم
اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى
يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير
وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران اراد سعادته وبينه وبين الايمان
ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من
يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره
كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن
اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة
لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان
النون لا يدخل النفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض
للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته
التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض

قوله روي انه عليه السلام مر على ابي الخ ابي هو ابي ابن كعب
رضي الله عنه وهذا الحديث اخرجه الترمذي والنسائي عن
ابي هريرة رضي الله عنه وهو حديث صحيح وتمامه الا اعلمك
سورة اعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين وهي السبع
المثاني قوله واختلف فيه اي في جواز قطع الصلوة لاجابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي قول الشافعي انه الكلام في الصلوة
لاجابته صلى الله عليه وسلم لا يقطع الصلوة ولا يبطلها لانه فرض
اي في الصلوة فلا يبطلها عنده قوله فان الصلوة ايضا
اجابة لانه امرنا بفعلها اجابة لامره وجوابه كذلك فلا يبطلها
وحكى الروياني وجها آخر انها لا تجب وتبطل الصلوة وقيل
ان يقطعها ولكنه اذا كان الامر يفوت بالتاخير يجوز قطع
الصلوة له كما اذا رأى اعمى وصل الى بئر ولو لم يحذره لهلك هذ
قوله وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به التوكيد على ان لا الا توكيد
المضارع في غير قسم ولا طلب ولا شرط الا انهم اختلفوا في المنفي بلا فقيل
يجوز تاكيده لاجرائه مجرى النهي وقيل انه مخصوص بالضرورة والفراء
قال انه جاز هنا لما فيه من معنى الجزاء والشريف رحمه الله تعالى في الكشف قال لا فيه
معنى النهي لان المعنى لا تتعرضوا لها في اخذ الاشتقاق مطلوب عدمه كما في
النهي فما ذكره بيان لوجه عدم تاكيده بانه متردد بين الوقوع وعدم
مجزوم به فيه والتاكيد يقتضي دفع التردد فاجاب بانه طلبي معنى
فيؤكد كما يؤكد الطلب وهو لا ينافيه التردد في وقوعه لانه لا تردد
في طلبه على انه قيل انه لا تردد فيه على تقدير وقوع الشرط فالتردد في
الحقيقة انما هو في وقوع الشرط لا فيه وقد علمت ان الفراء يجوز تاكيد
الجزاء مطلقا فما ذكره هنا على مذهبه وظاهر حجة ابن جني

ارض مكة يستضعفكم قريش وقيل للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان
يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى
تتحصنون به من اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من
الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن
او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم وروي انه عليه الصلوة والسلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا
الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في
ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال
لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي
التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه الصلوة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان
اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم مجزوم بالعطف على الاول
او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما
اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم
على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم
اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق
بين الحق والباطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا
يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها
ويغفر لكم ذنوبكم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر ٤
لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه

قوله فان وبالها الخ بيان المعنى على النهي كما ترى وقيل انه تعليل للنهي عن
التعرض للظلم ولا اخشى وبال الظلم لم يؤل نفيه الى نفي الاصابة
رأسا ولا الى نفي الخصوص واثبات العموم كما في الوجوه المتقدمة فتدبر
قوله ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض الخ وفي نسخة على الوجه
الاول وهو الصحيح في الوجه الاول وفي الكشاف معنى من التبعيض على
الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبكم خاصة على
ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس نقيض في تخصيص
التبعيض بالاول والتبيين بالثاني جزالة وقيل في بيانه ان
مراده بالاول النفي وهي فيه تبعيضية لان المعنى ان الفتنة لا تخص
بالظالمين منكم فيكون منكم غير ظالمين تعمهم ايضا والثاني النهي ومن
في بيانية لان النهي للمخاطبين عن الظلم الذي هو سبب اصابة الفتنة
وقد عبر عن المخاطبين باعتبار الظلم بالذين ظلموا فيكون منكم بيانا
للذين ظلموا واليه اشار بقوله لا تصيبكم خاصة اي لا تتعرضوا
فيصيبكم الفتنة معشر الظالمين خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم
من سائر الناس منكم في محل النصب على الحال من الضمير في اقبح ومن مستعمل
مع افعل التفضيل محذوف والتقدير الظلم منكم اقبح من الظلم من سائر
الناس نحو زيد قائما احسن منه قاعدا وقيل الوجه الاول انه
جواب الامر ومحله نصب على انه بدل من الذين ظلموا والثاني ان يكون صفة
او نهيا ومن بيانية والى هذا ذهب القاضي ايضا لانه اذا كان المراد
والتقوا فتنة لا تصيبكم العقاب خاصة على ظلمكم كان منكم تعميما
للذين ظلموا اي لا تصيبن خاصة الظالم هو انتم اي لا ينبغي ان
تتعرضوا بالفتنة وانتم عظماء الصحابة فاذا حققت النظر
علمت ان المخاطبين في الاول كل الامة وراكب الفتنة بعضهم

واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا
تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك
بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد
وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار
ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت
اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا
على رأيه فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه على مضجعه وخرج مع ابي بكر
الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر
وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا
مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول
الذين ائتمروا في امره عليه الصلوة والسلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما
منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم و
فرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام
ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه
كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم

اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل
وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق
مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة
على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم
اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرض على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى
زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد
لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك
الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالاكثر ان منهم
من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة
الا مكاء وتصدية او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية تصفيقا
تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم
ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم
كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون
اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر
وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا
من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من
استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم

اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله
فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني انفاقهم فيما
يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق
الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم يكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها
تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك
والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث
من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم يكون عليهم حسرة وقرا حمزة
والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه
ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين
فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون
الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل
لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء
والكاف على خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين
الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما
يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون
من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم
دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا
فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير
لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى

258

حتى الخيط والمخيط. فأن لله خمسه مبتدأ خبره محذوف أي فثابت أن لله خمسه وقرئ فإن بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم
كما في قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل فكأنه قال فأن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين به وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف إلى
ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل إلى الإمام وقيل إلى الأصناف الأربعة وقال أبو حنيفة رحمه الله سقط
سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا إلى الثلاثة الباقية وعن مالك الأمر فيه مفوض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما
يراه أهم وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية فقال يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ
قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم إلى سهم الرسول وذوو القربى بنو هاشم
وبنو المطلب لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر
فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلاة والسلام
إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام وشبك بين أصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه
سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم
والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على
رأس عشرين شهرا من الهجرة. إن كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أي إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء
فسلموه إليهم واقنعوا بالأخماس الأربعة الباقية فإن العلم العملي إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لأنه مقصود بالعرض والمقصود
بالذات هو العمل. وما أنزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين أي الرسول والمؤمنين. يوم الفرقان
يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل. يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار. والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على
الكثير والإمداد بالملائكة. إذ أنتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها
والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب. وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الأقصى
كان قياسه قلب الواو كالدنيا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصيا. والركب أي
العير أو قوادها. أسفل منكم في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من
الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا

مراكزهم ويبذلوا النفوس دونهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين
فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد أي لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم في الميعاد هيبة
منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا إيمانا وشكرا
ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه أو متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة
عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر
من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك
الإدغام للحمل على المستقبل وإن الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين
على القول والاعتقاد إذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح
إذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو أراكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم ولتنازعتم في الأمر أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أنعم بالسلامة من الفشل
والتنازع إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا
الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن إلى جنبه أتراهم سبعين
فقال أراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في أعينهم حتى قال أبو جهل إن محمدا وأصحابه أكلة جزور
وقللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم
وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا
الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار عن إبصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط
ليقضي الله أمرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا إعزاز
الإسلام وأهله وإذلال الشرك وحزبه وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم

يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا
في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه
على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا
بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر أو أحد
فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث إنها
في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا إن الله مع الصابرين بالكلاءة والنصرة ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم يعني أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا وأشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة
والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله
حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا
كؤوس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى
وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء أمر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا إن جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه وإذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر
أعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية
والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون
أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا
لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى أي بطل كيده
وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله أي تبرأ منهم وخاف
عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على السير ذكرت ما بينهم وبين
كنانة من الإحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم
من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة

فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه
ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى
قوله إني أخاف الله إني أخاف أن يصيبني مكروها من الملائكة أو يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه
ما لم ير قبله والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا
إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون
وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به
فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ومن يتوكل على الله جواب لهم فإن الله عزيز غالب لا يذل من
استجار به وإن قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت فإن لو تجعل
المضارع ماضيا عكس إن إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر وإذ ظرف ترى والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة أو
حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو
مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منهم
أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين وأدبارهم ظهورهم أو أستاههم ولعل المراد تعميم الضرب أي يضربون ما أقبل
منهم وما أدبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون بإضمار القول أي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الأمر وتهويله
ذلك الضرب والعذاب بما قدمت أيديكم بسبب ما كسبت من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وأن الله ليس بظلام للعبيد
عطف على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم
بذنوبهم فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام
للتكثير لأجل العبيد كدأب آل فرعون أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه
أي داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم
كما أخذ هؤلاء إن الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك إشارة إلى ما حل بهم بأن الله بسبب أن الله
لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم مبدلا إياها بالنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم يبدلوا ما بهم من الحال إلى

حال أسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في
إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم
عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى غيروا حالهم وأصل يك يكون فحذفت
الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بحروف اللين تخفيفا وأن الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به
من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما أخذ به آل فرعون وقيل الأول لتشبيه الكفر والأخذ به والثاني
لتشبيه التغيير في النعم بسبب تغييرهم ما بأنفسهم وكل من الفرق المكذبة أو من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين
أنفسهم بالكفر والمعاصي إن شر الدواب عند الله الذين كفروا أصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع
منهم إيمان ولعله إخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف
عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل
البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين
بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوا عليه يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم
ومن لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة مرة المحاربة أو المعاهدة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته أو لا يتقون الله
فيه أو نصره المؤمنين وتسليطه إياهم عليهم فإما تثقفنهم فإما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن
مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ
فشرذ بالذال المعجمة فكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فإنه إذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء
لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بأمارات تلوح لك فانبذ
إليهم فاطرح إليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فإنه يكون خيانة
منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الأول أي ثابتا على
طريق سوي أو منه أو من المنبوذ إليهم أو منهما على غيره وقوله إن الله لا يحب الخائنين تعليل للأمر بالنبذ
والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين
كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول
فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين
اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا
عن ادراكهم وكذا ان كسرت الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد
وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او الكفار
ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلوة والسلام يقول على المنبر الا ان
القوة الرمي ثلثا ولعله خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول
او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل
بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون
به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة
وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع
العمل ونقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ
ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها قال السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله
يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها
بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله
وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره
وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث
لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لو انفقت ما في الارض جميعا

جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من
الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها
كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده
وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك
والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
اما في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين
او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت في البيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي عليه
الصلوة والسلام ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه
يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت
وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين
كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ
ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون
بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا
ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل
ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى
الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة
وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين
بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء
حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه
وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم

ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ يجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله
اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق
بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين
المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه الصلوة والسلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس
وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من
فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد
من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وان مثلك
يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت
فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على
ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق
اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه
او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه
الصلوة والسلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا
مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف
تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من
المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها
على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم
ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا

ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي
نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت
فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي
هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك فقال اخبرني به
ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد
دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود
بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله
بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان عادوا الى الخيانة
فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله
وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة
القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء
بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم
في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان
استنصروكم في الدين فعليكم النصر فوجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة
فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او المؤازرة وهو
بمفهومه يدل على منع التوارث والمؤازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم
وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة
وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم

الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم بالوعد الكريم فقال
لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من يلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به
على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة
اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من
النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش
وحملته يستغفرون له ايام حياته في الدنيا

سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت

وقيل الا آيتان من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة
والمنقرة والمثيرة والحافرة والمنكلة والمخزية والفاضحة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة
للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهو التبري عنه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم
وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت
لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين
موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها
وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله
براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان
يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا
براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله

والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت
صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب
فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة
اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة
والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر
من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها
الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب
ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة
وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه الصلوة والسلام
بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب
ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد
ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله
مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله
الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين
يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي
انه عليه الصلوة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل
يوم عرفة لقوله عليه الصلوة والسلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر

او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج
اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين
وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف
على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب
عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت
البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم
من الكفر والغدر فهو فالتوبة خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء
فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم
في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد
ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد
ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام
العهد من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة
الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل
بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي حرمة هذه الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين
الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم
واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه
على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم
فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا
يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم
الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك

جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه
مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل
الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه
فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي
الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو
على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا
فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحل النصب على الاستثناء او الجر على
البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم
عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف
تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما
الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي كيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم
لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من
رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم
وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه
من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا فهو كجبرال وجبريل
ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم
على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون
ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر
والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم

فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي
عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا
عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر
الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا
او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في الناقضين
وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم
المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم
في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل
من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا
عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا
ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي
التقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين والتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق
به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل
والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل
على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف
لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى
لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يوفون
على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن
غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض
على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع
الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا

في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا
باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلوة والسلام بدأهم بالدعوة والزام
الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم
اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا
تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان
موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم
بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن
وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب
ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء
اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به
الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وبما يكون حكيم
لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين
الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان
تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة بطانة يوالونهم يفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله
خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين
ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع
لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد
شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس

عيّره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال ما لكم تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت أولئك حبطت
أعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لأجله إنما يعمر مساجد الله من آمن
بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة أي إنما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها
تزيينها وتنويرها بالفرش والسرج وإدامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث
الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول لما علم أن الإيمان بالله
قرينه وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله وأقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش إلا الله أي في أبواب الدين
فإن الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة
التوقع قطعا لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بأنهم مهتدون فإن هؤلاء
مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك بأضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا
بأحوالهم ويتكلوا عليها أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في
سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من إضمار تقديره أجعلتم
أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الأول قراءة من قرأ سقاة الحاج
وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر
ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين أي الكفرة
ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق
والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات
أو من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنان نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف

وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها أبدا أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد
يستعمل للمكث الطويل إن الله عنده أجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله أو نعم الدنيا يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن
هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة
التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله
إن استحبوا الكفر على الإيمان أي اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون بوضعهم
الموالاة في غير موضعها قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من
العشرة وقيل من العشرة فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر وعشيراتكم وقرئ
وعشائركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن
ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت
التكليف في التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بأمره جواب ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح
مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله
في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقفها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر في أيام
مواطن أو يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع إبدال قوله إذ أعجبتكم كثرتكم منه أن يعطف على موضع
في مواطن فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جميع المواطن وحنين
واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر ألفا العشرة الذين حضروا
فتح مكة والفان انضموا إليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم
أو أبو بكر رضي الله عنه أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة إعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فأدرك
المسلمين إعجابهم واعتمادهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه وليس معه إلا عمه
العباس آخذا بلجامه وابن عمه أبو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس
وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون

لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلوة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ
كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم الكثرة شيئا من الاغناء
او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه
نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين
والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله
وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حالتيهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول
ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف
الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم
في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم
ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس
وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل
والنعم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالا
حساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى
نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم
فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب
ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل
على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون
وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب
للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة
وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع

بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب
منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة
على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل
في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم
فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بينا
في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة
وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون
دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى
يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن
يد مؤاتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع
من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام
عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اي
اذلاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل
الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه
انه عليه الصلوة والسلام اخذها من مجوس هجر وانه عليه السلام قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة
كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم
الا مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه الصلوة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك
تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية
واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير كسوب وقالت اليهود

عزير ابن الله إنما قاله بعضهم من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة وإنما قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة
بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك
قالوا ما هذا إلا لأنه ابن الله والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم
على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على أنه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في
القراءة الأخرى إما لمنع صرفه للعجمة والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين أو لأن الابن
وصف والخبر محذوف مثل معبودنا أو صاحبنا وهو مزيف لأنه يؤدي إلى تسليم النسب وإنكار الخبر المقدر
وقالت النصارى المسيح ابن الله هو أيضا قول بعضهم وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب أو لأن يفعل
ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إلها ذلك قولهم بأفواههم إما تأكيد لنسبة
هذا القول إليهم ونفي للتجوز عنها أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد
في الأفواه ولا يوجد مفهومه في الأعيان يضاهئون قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه
مقامه من قبل أي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون الذين قالوا الملائكة
بنات الله أو اليهود على أن الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه
قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في أنها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالإهلاك فإن من
قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أربابا من دون الله بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم أو بالسجود لهم
والمسيح ابن مريم بأن جعلوه ابنا لله وما أمروا أي وما أمر المتخذون أو المتخذون أربابا فيكون
كالدليل على بطلان الاتخاذ إلا ليعبدوا أي ليطيعوا إلها واحدا وهو الله تعالى وأما طاعة الرسل
وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا إله إلا هو صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد
سبحانه عما يشركون تنزيه له عن أن يكون له شريك يريدون أن يطفئوا نور الله حجته الدالة
على وحدانيته وتقدسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بأفواههم بشركهم أو تكذيبهم
ويأبى الله ولا يرضى إلا أن يتم نوره بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام وقيل إنه تمثيل لحالهم في طلبهم إبطال

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منتشر منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده
بنفخه وإنما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لأنه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما
قبله عليه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولذلك كرر ولو كره المشركون غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول
إلى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق أو للرسول واللام في الدين للجنس أي على سائر الأديان فينسخها
أو على أهلها فيخذلهم يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل
يأخذونها بالرشى في الأحكام سمي أخذ المال أكلا لأنه الغرض الأعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان
فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون
حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله عليه السلام ما أدي زكوته
فليس بكنز أي بكنز أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله من ترك صفراء
أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلوة والسلام فيما أورده الشيخان مرويا عن أبي
هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح
من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب أليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم
أي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها وأصله تحمى بالنار فجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار
وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير
وإنما قال عليها والمذكور شيئان لأن المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه أربعة
آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز أو للأموال
فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها
على أن الذهب أولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لأن جمعهم وإمساكهم

كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه. هذا ما كنزتم على ارادة القول. لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها. فذوقوا ما كنتم تكنزون. اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون. ان عدة الشهور اي مبلغ عددها. عند الله معمول عدة لانها مصدر. اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة. منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ذلك الدين القيم. اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلم والعرب ورثوه منهما. فلا تظلموا فيهن انفسكم. بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحالة الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه الصلوة والسلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة. وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال. واعلموا ان الله مع المتقين. بشارة وضمان لهم بالنصر بسبب تقواهم. انما النسيء. اي تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نساه اذا اخره. زيادة في الكفر. لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم. يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله. يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر. ويحرمونه عاما فيتركونه

فيحرمونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في قابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه و الجملتان تفسير للضلال او حال. ليواطئوا عدة ما حرم الله. اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين. فيحلوا ما حرم الله. بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت. زين لهم سوء اعمالهم. وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا. والله لا يهدي القوم الكافرين. هداية موصلة الى الاهتداء. يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم. تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ. الى الارض. متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم. ارضيتم بالحيوة الدنيا. وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها. فما متاع الحيوة الدنيا. فما التمتع بها. في الآخرة. في جنب الآخرة. الا قليل. مستحقر. الا تنفروا. الى ما استنفرتم اليه. يعذبكم عذابا اليما. بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو. ويستبدل قوما غيركم. ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس. ولا تضروه شيئا. اذ لا يقدح تثاقلكم اذا تثاقلتم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق. والله على كل شيء قدير. فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال. الا تنصروه فقد نصره الله. اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره. اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين. ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال. اذ هما في الغار. بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا. اذ يقول. بدل ثان او ظرف لثاني. لصاحبه. وهو ابو بكر. لا تحزن ان الله معنا. بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا

فدخلا الغار فأشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما
فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه. فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب. عليه على النبي
عليه الصلوة والسلام او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه
في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله. وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر. وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام
والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة
في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع
ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك
وسط الفصل. والله عزيز حكيم في امره وتدبيره. انفروا خفافا لنشاطكم له. وثقالا عنه لمشقته
عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك
لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج. وجاهدوا باموالكم
وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما. ذلكم خير لكم من تركه. ان كنتم تعلمون
الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه. لو كان عرضا قريبا
اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ. وسفرا قاصدا متوسطا. لاتبعوك لوافقوك
ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين. وسيحلفون بالله
اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين. لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة
او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة. لخرجنا معكم
ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه. يهلكون انفسهم بايقاعها
في العذاب. وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله. والله يعلم انهم
لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج. عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان

العفو من روادفه. لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في
القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت. حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار
وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه
الله عليهما. لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة
المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان
يستأذنوك في التخلف عنه او ان يستأذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا. والله عليم بالمتقين شهادة لهم
بالتقوى وعدة لهم بثوابه. انما يستأذنك في التخلف. الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان
بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون. ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة اهبة
وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وغيرها
ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه
كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج. فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل. وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل
لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض
او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم. لو خرجوا فيكم ما زادوكم
بخروجهم شيئا. الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة
باعتبار العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون
مفرغا. ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير
وضعا اذا اسرع. يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال
من الضمير في اوضعوا. وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم
والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم. لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك
من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي جدة اسفل

من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال
امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان
لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي
في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة
متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء
الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك
بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق
لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الآن لاحاطة اسبابها بهم
ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها
مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم
في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل
لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة والشهادة او ما كتب لاجلنا
في اللوح لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من
بنات الواو كقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصوب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من
الصواب هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان من حقهم ان لا يتكلوا على
غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى
العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم
متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم
انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا

فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس اعينكم بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يأخذ
منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان
وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا
كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون
الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما
عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق
الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون
يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤون اليه
او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا يندسون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من ادخل او مكانا يدخلون فيه
انفسهم وقرئ مدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ ابن كثير يلامزك
ويعقوب يلمزك بالضم في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل
وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة
بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب
الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله
للتعظيم والتنبيه على ان ما فعل الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله
صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله
والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا

وتحقيقا لما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوات لهولاء
المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير
من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب
لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه الصلاة والسلام
يسال المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في
تحصيلها وجمعها والمولفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيتالف قلوبهم او اشراف يترقب
باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصين والاقرع بن
حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه عليه الصلاة والسلام كان يعطيهم
من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يولف قلبه بشي منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل
كان سهم المولفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك
الرقاب بان يعاون المكاتب بشي منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد
او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم
احق بها والغارمين والمديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا
اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله
او لرجل له جار مسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق
على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن
ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء
وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق
الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك
واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال
الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله على ان الآية بيان ان الصدقة

لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له
ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك
او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا
ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن لكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث
انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يومن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويومن للمومنين
ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان
ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه
ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب
على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان
خير صفة له او خبر ثان والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم
فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمومنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق
بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان
التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مومنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان و
قرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر
اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من
يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم على المومنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين
فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم
لم يكونوا على بت في امر الرسول بشي وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل
استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرونه من
اظهار مساويكم ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول

صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى
نبيه به فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض
فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بما
لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان
نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم
كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء
وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء
الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل فانه يدل
على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله
وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق
عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم
عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم
لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم
مثل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم
فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية
والتهائهم عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء
اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض

الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم
الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمروذ ببعوض واهلك اصحابه
واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط
ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا عليهم حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعني الكل بالبينات فما كان الله
ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع
ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها
العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود
وعنه عليه الصلوة والسلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع
على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه فكأنه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل
اليها طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات
التي لا تخلوا عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات
في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر
لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلوة والسلام ان الله يقول لاهل
الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم

افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان
او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس
المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه الصلوة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك
الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم
العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهم كذلك
اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اعداء الله فهربوا او اخراج
واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما نقموا
وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة
كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل
فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار
على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم
من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة
بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلوة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه
فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ

الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرأاه الكتاب الذي فيه
الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة
فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك زمن عثمان فلما
آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها
فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل
والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو
يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم
كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد
الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من
او العزم على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم
المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه الصلوة والسلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة
آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله
لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صالحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم
وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على
صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر
بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في
الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم فيستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم
ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد التساوي بين الامرين في عدم الافادة

لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان
من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لازيدن على السبعين
فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين
العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد التكثير دون
التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام
العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين
المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك
في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم
انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول
الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه
على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض
على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا
في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة
لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر
للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم
فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الله الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان
كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة
اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم

رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة
هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان
ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل
قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن
الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس حين اسر ببدر والمراد
من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا
يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره
للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر حقيق به
فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول
واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا ويجوز ان تكون ان مفسرة
وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين
الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه
وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة
لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد
من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة
وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب
اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسد وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد
وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا

قوله نزلت سواء عليهم استغفرت لهم الخ مما اورد عليه ان سورة براءة آخر ما نزل فكيف تكون هذه الآية نازلة
بعدها وهي من سورة اخرى فان اجيب بانه باعتبار اكثرها وصدرها فلا مانع من تاخر نزول بعض الآيات عنها منع بان هذه الآية من سورة
المنافقين وصدرها تقتضي انها نزلت في غير هذه القصة لان اولها اذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون
وهم مستكبرون سواء عليهم استغفرت لهم الخ وكونها نزلت مرتين لا يقال بالرأي فالحق ان هذا مشكل فتدبر قوله وذلك لانه عليه الصلوة والسلام
فهم من السبعين لنخالف الزمخشري في قوله انه عليه السلام لم يخف عليه ذلك وهو افصح الناس واعرفهم باللسان ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رأفته
ورحمته لمن بعث اليه كقول ابراهيم عليه السلام ومن عصاني فانك غفور رحيم يعني انا وقع في خيال السامع انه فهم العدد المخصوص دون التكثير
فجوز الاجابة بالزيادة قصدا الى اظهار رأفته ورحمته كما جعل ابراهيم عليه السلام جزاء من عصاني اي لم يمتثل امري بترك عبادة الاصنام قوله
فانك غفور رحيم دون ان يقول شديد العقاب يخيل انه يرحمهم ويغفر لهم رأفة بهم وحثا على الاتباع كما قيل انه بعد ما فهم منه التكثير رجاء
ذكره تمويه والتخييل لا يليق بمقامه وفهم المعنى الحقيقي من لفظ اشتهر مجازه لا ينافي فصاحته ومعرفته باللسان فانه لا خطأ فيه ولا بعد
انه هو الاصل ويحمله شغفه بهدايتهم ورأفته بهم واستعطاف من عداهم فلا بعد فيه كما توهم قوله لاشتمال السبعة على جملة اقسام
العدد الخ وبيانه ان الستة عند الحساب عدد تام والعدد التام عندهم ما ساوى مجموع كسوره المنطقة وما عداه زائد او ناقص وكسور
الستة سدس وهو واحد وثلث وهو اثنان ونصف وهو ثلثة ومجموعها ستة فاذا زيد عليها واحد كانت اتم في الكمال ولذا قال ابن عيسى الربعي
السبعة اكمل الاعداد لان الستة اول عدد تام وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ ليس بعد التمام سوى الكمال ولذا سمي الاسد سبعا
لكمال قوته والسبعون غاية الغاية اذ الآحاد غايتها العشرات وقال الطيبي في شرح المصابيح السبعة تستعمل في الكثرة يقال سبع الله لك
اي كثره وذلك لان السبعة عدد كامل جامع لانواع العدد كلها لان الاعداد اما زوج او فرد واما زوج زوج واما زوج فرد فالزوج هو
هو الاثنان والفرد هو الثلاثة وزوج الزوج هو الاربعة وزوج الفرد هو الستة والواحد ليس من الاعداد عندهم لكنه منشؤه
العدد فالسبعة ستة وواحد فهي مشتملة على جملة انواع العدد ومنشئها فلذا استعمل في الكثير انتهى وقيل انها جامعة للعدد لانه ينقسم
الى فرد وزوج وكل منهما اول واما مركب فالفرد الاول الثلثة والمركب الخمسة والزوج الاول اثنان والمركب اربعة وينقسم الى منطق كاربعة
واصم كستة والسبعة تشتمل جميعها فاذا اريد المبالغة جعلت احادها عشرات ثم عشراتها مآت وهذه مناسبات ليس البحث عنها من دأب
التحصيل قوله اشارة الى ان الياس الخ الياس ضد الرجاء والاياس جعله آيسا فكان الظاهر الايايس قوله لعدم قابليتهم
لكونهم كفارا والكفر صارف عن المغفرة لانه يغفر ما عداه وان كان ذلك ممكنا بالذات كما يشعر به تعبيره بالصارف وفي الفسق تنبيه
الكفر وعتوه ليكون ذكره مع الكفر منتظما قوله وهو كالدليل على الحكم السابق الخ اي سببية كفرهم لعدم المغفرة لان المراد به كفر طبعوا
عليه وهو من خلق لا يقبل العلاج ولا يفيد فيه الارشاد فالمراد بالهداية الدلالة الموصلة على ما يوصل لا انها واقعة ومن قال الدليل هو الآية
السابقة لا هذه فقد وهم قوله والتنبيه على عذر الرسول عليه السلام اي استغفاره وهو مجرور عطف على الدليل ويجوز رفعه بالعطف
على محل الجار والمجرور قوله وقد قيل انه لا عذر عن الاستغفار الثاني بعد نزول الآية الا ان يقال بانه لم يبلغه نزولها وفي ذلك بانهم كفروا الخ
عن قوله استغفرت لهم وقيل هذا العذر انما يصح لو كان استغفاره للحي كما مر عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه نظر قوله بعد العلم
بموتهم كفارا واعلامه بذلك بالوحي قوله بقعودهم من الغزو وخلف الخ مقعد مصدر بمعنى القعود وخلاف ظرف
بمعنى خلف وبعد كما استعملته العرب بهذا المعنى وقيل مقعد اسم مكان والمراد به المدينة وقال المخلفون ولم يقل المتخلفون لانه عليه السلام
منع بعضهم من الخروج فغلب على غيرهم او المراد من خلفهم كسلهم او نفاقهم او لانه عليه السلام اذن لهم في التخلف او لان الشيطان اغراهم به

بذلك وحمهم عليه كما في الكشاف واستعمال الخلاف بمعنى خلف لان جهة الخلف خلاف الوجه قوله ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فهو مصدر خالف
كالقتال فيصح ان يكون حالا بمعنى مخالفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم او مفعولا لاجله اى لاجل مخالفته لان قعودهم ذلك لنفاقهم ولا حاجة الى ان يقال
قصدهم الاستراحة ولكن لما آل امرهم الى ذلك جعل علة فهي لام العاقبة وهي علة اما للفرح او للقعود قوله ايثار الدعة والخفض الدعة الراحة
والتنعم بالمآكل والمشارب والخفض بمعناه ذكرهما مقابل فرح مقابلة معنوية لان الفرح بما يحب والمهج جمع مهجة وهي هنا بمعنى الانفس وان كان
اصل معناها الروح او القلب او دمه وفيه التعريض ظ لان المراد كرهوه لا كالمؤمنين الذين احبوه والتثبيط التعويق كما مر قوله وقد الزموه
فتره به لم يرتبط بما قبله قوله ان مصيرهم اليها اه تقدير لمفعول يفقهون اى لو كانوا يعلمون ان مرجعهم النار او لو كانوا يعلمون شدة عذابها لما اثروا
راحة زمن قليل على عذاب الابد واجهل الناس من صان نفسه عن امر يسير يوقعها في ورطة عظيمة وقوله كيف هي تقدير آخر لمفعول يفقهون اى لو يعلمون
احوالها واهوالها وقوله ما اختاروها اشارة الى جواب لو المقدر قوله اخبار عما يؤول اليه حالهم الخ في البحر الظاهر ان قوله فليضحكوا
قليلا اشارة الى مدة عمر الدنيا وليبكوا كثيرا اشارة الى مدة الخلود في النار جاء بلفظ الامر ومعناه الخبر فقليلا على معناه ح اسمهم واخاه
الحمل على الدوام كما ذكره المفسر رحمه الله وقال ابن عطية ان المعنى انهم على خطر من الله وسوء الحال بحيث ينبغي ان يكون ضحكهم قليلا وبكاؤهم
من اجل ذلك كثيرا وهذا يقتضي ان يكون البكاء والضحك في الدنيا كما في حديث لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقيل المراد بضحكهم
فرحهم بقعودهم وقليلا وكثيرا منصوب على المصدرية اى ضحكا وبكاء قليلا او كثيرا او الظرفية اى زمانا قليلا وكثيرا وجزاء مفعول له ليبكوا
وهو مصدر من المبني للمفعول قوله للدلالة على انه حتم واجب لان صيغة الامر للوجوب في الاصل والاكثر فاستعمل في لازم معناه ولانه لا يحتمل
الصدق والكذب بخلاف الخبر فان قلت الوجوب لا يقتضي الوجود وقد قالوا انه يعبر عن الامر بالخبر للمبالغة لاقتضائه تحقق المأمور به فالخبر
آكد وقد مر منزلة بالعكس هنا قلت لا منافاة بينهما كما قيل لان لكل مقام مقالا والنكت لا تتزاحم فاذا عبر عن الامر بالخبر لافادة
ان المأمور لشدة امتثاله كانه وقع منه ذلك وتحقق قبل الامر كان ابلغ واذا عبر عن الخبر بالامر كان لافادة لزومه ووجوبه فكانه مأمور به
افاد ذلك مبالغة من جهة اخرى واما كون الامر هنا تكوينيا فركيك جدا فلا يمنع منه كونه مستقبلا كما قيل الا ترى قوله اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون فتدبر قوله والمراد من القلة العدم تقدم انه لا حاجة اليه واما ما قيل انه اعتبرها في الآخرة ولا يسر ولم يرها فلا دلالة في كلامه عليه
وان كان هو صحيحا في نفسه قوله فان ردك الله الى المدينة اشارة الى ان رجع يكون متعديا بمعنى رد كما هنا ومصدره الرجع وقد يكون
لازما ومصدره الرجوع واوثر استعمال المتعدي وان كان اللزوم اكثر اشارة الى ان ذلك السفر لما فيه من الخطر يحتاج الى تأييد الهي ولذا اورد
كلمة ان على اذا قوله او من بقي منهم لان منهم من مات فضمير منهم على الاول للمخلفين وعلى الثاني للمنافقين وقوله كان المخلفون لا يحسن لفظه
هنا لانه ليس من موافقها وما وقع في نسخة من موافقهم بدل منافقيهم من غلط الناسخ وما قيل ان المراد من بقي من بقي على نفاقه ولم يتب محاولة
وذكر المخلفين طائفة نكتة اخرى وهي ان من المنافقين من تخلف لعذر صحيح وهو بعيد فلذا تركه المفسر رحمه الله قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا الآية ذكر
القتال لانه المقصود من الخروج ولو اقتصر على احدهما لكفى اسقاطا لهم عن مقام الصحبة ومقام الجهاد او عن ديوان الغزاة ودعوة المجاهدين واظهار لكراهة
صحبتهم وعدم الحاجة الى عدهم من الجند او ذكر الثاني للتأكيد لانه اصرح في المراد والاول لمطابقته لسؤالهم كقوله افرد المرحل لا تقبل عدتنا
فهو دال على كراهتهم وقوله للمبالغة تقدم تقريره ودفع ما يرد عليه وقوله تعليل لنهيهم يعني انه جملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر وقوله
على تخلفهم اى من غير عذر صحيح منهم والسياق مصدر لاح بمعنى تعلق وهو مجاز عن المناسبة قوله واول مرة هي الخرجة الى تبوك اشارة الى انه منصوب
على المصدرية والمعنى اول مرة من الخروج وقيل انه منصوب على الظرفية الزمانية واستبعده ابو حيان رحمه الله تعالى وفي الكشاف انه لم يقل اول المرات
لان الاكثر في المضاف عدم المطابقة وتفصيله في شرح السعدي ه

والمعذرون اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام
التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ
يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر
بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون
قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان
كان هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من
اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله
بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام
والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين
موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين في ذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء
فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار
معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن
زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو
معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه
قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل
من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل
على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي
لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم
من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى

294

حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم
من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم
اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله
اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع
الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم
بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا
عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس
لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة وماواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل
النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا
يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم
تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم
وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله
فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر
بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم
وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله
ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية
ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض
بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل
من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقراءة ابن كثير

وابو عمرو والسوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ عند الله
صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم
ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل
على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق
رجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته
وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان
وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين
صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى
كانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن
عمير وقرئ بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين
او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه
بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها
كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اي وممن حول بلدتكم يعني المدينة
من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة
عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه
قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا او صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام
مبتدأ لبيان تمردهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي
مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم
ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما
وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا

بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد
لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم
فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنوب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة
اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر
عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن
التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا
فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى
مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل
المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم
وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم
عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم
او لغيرهم والمراد التخصيص عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى
التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول
توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله
والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ
نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على
النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم
باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله

وخرهم الى الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن وصفنا
الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمومنين روي
ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم
بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يومهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا انا بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى
فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي
فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا
وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المومنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قبا
وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليجي
بلاتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم
الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل
ان ينافق هولاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فقال انا
على جناح السفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد
انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقول ابي سعيد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده
ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان
تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة
فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى

مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امومنون انتم فسكتوا
فاعادها فقال عمر انهم مومنون وانا معهم فقال عليه الصلوة والسلام اترضون بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون
على البلا قالوا نعم قال اتشكرون في الرخا قالوا نعم قال عليه الصلوة والسلام مومنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر
الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط
الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى
من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه
على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة
استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا
لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها
على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا
على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس
على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه على الاضافة واس واساس واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس
وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي
القوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناوهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس
بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم
هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازدادوا
بحيث لا يزال وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية للادراك والاضمار وهو غاية
المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع
بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص
وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء
للمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم

بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي
بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا
عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن مذكورا فيهما
كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون
رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره
التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر
على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين
عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون
لقوله عليه الصلوة والسلام سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية
يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون
في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة
على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله
اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان
بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك
سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني بهم هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم
للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل
وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
روي انه عليه الصلوة والسلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فأبى فقال لا ازال
استغفر لك ما لم انه عنك فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا

مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل
علي الآيتان ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز
الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك
بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان
فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابراهيم
لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على
الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم
بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول
في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو
ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك
السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين
وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب
عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرؤوا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما
يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن للمنافقين في التخلف او برأهم عن
علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد
الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي عليه الصلوة والسلام والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما
من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بان جعلها مقام
الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا
في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى
شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان واتباع الرسول وفي كاد

ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي
ثم من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوه
من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن
امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما
رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط
الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى
استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم
بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله
نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله عن حكمه نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال
روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب
والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير
فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب
يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب
والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم
لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطئون موطئا
ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب
الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين
على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى
ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم

ايام لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك
الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك
الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصب بفعله المقدر
وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد
الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها
على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه
لكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان يكون من غيره
كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة
الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال
كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض
والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته
فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراد بك
ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر
انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير
لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو
الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه

لانه نفعه له ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها فوبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل
بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير. واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ. واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله وهو خير
الحاكمين. اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون.

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث او ثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر. كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف. احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال
من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ
او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم
النظرية والعملية. ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا
او بانزالها نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او احكمت
آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار. من لدن حكيم خبير.
صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل
ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي. الا تعبدوا الا الله. لان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا فان
تفصيل الآيات في معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري
عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا. انني لكم منه نذير وبشير
بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد. وان استغفروا ربكم عطف على الا تعبدوا.
ثم توبوا اليه ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع و

وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين • يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم فى امن ودعة • الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت معلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا يتغير • ويؤت كل ذى فضل فضله ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا وفى الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين • وان تولوا وان تتولوا • فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير • يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى • الى الله مرجعكم رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس • وهو على كل شيء قدير • فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم • الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبى عليه السلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالتاء والياء من اثنونى وهو بناء المبالغة وتثنون من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثنى وتثنئن من اثنان كابياض وقرئ تثنوى كترعوى • ليستخفوا منه • من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة • الا حين يستغشون ثيابهم • اى حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم • يعلم ما يسرون فى قلوبهم • وما يعلنون • بافواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه • انه عليم بذات الصدور • بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها • وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها • غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه • ويعلم مستقرها ومستودعها • اماكنها فى الحيوة والممات والاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة • كل • كل واحد من الدواب واحوالها • فى كتاب مبين • مذكور فى اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد • وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام • اى خلقهما وما فيهما كما مر بيانه

في الاعراف او ما في جهة العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالاصل والذات دون السفليات • وكان عرشه على الماء • قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا
انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد
العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله بذلك • ليبلوكم ايكم
احسن عملا • متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي
لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك الاسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما
يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز
تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر
صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن
المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب
والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى واسرع
في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا • ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين • اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره
الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى
القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى على اي ولئن
قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تنبتوا بانكاره لعدوا ذلك قبيل ما لا حقيقة له
مبالغة في انكاره • ولئن اخرنا عنهم العذاب • الموعود • الى امة معدودة • الى جماعة من الاوقات
قليلة • ليقولن • استهزاء • ما يحبسه • ما يمنعه من الوقوع • الا يوم يأتيهم • كيوم بدر
ليس مصروفا عنهم • ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو
دليل على جواز تقديم خبرها عليها • وحاق بهم • واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل
تحقيقا ومبالغة في التهديد • ما كانوا به يستهزئون • اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون

قوله النظر والاستماع قال ابو حيان لا اعلم احدا ذكر ان استمع
تعلق وانما ذكروا من غير افعال القلوب سأل وانظر وراى البصرية على خلاف
فيها قلت كلام المفسر صريح في خلافه لانه قال ومثل ذلك ما وافقني و
قاربني بعض من كلام ابو حيان في التعلم وكذا قول الرضي وكذا جميع افعال الحواس
وكفى بالزمخشري سندا قويا قوله وانما ذكر صيغة التفضيل الدالة على
الاختصاص بالخبر بالاحسن ان الاعمال اختبار الاعمال شامل للفرق المكلفين
بالقبيح والحسن والاحسن كما تقرر في قوله ليبلوكم ايها الناس فلا يخص المتقين و
حاله السؤال تخصيص الابتلاء بالمؤمنين وتخصيص الاحسن بالذكر فاجاب
بانه قصد بذلك الحث والتحريض على محاسن الاعمال لدلالته على ان الاحسن المقصود
بالاختبار وذلك التفريع يجازيهم الكل الجزاء فكانه قيل المقصود ان يظهر فضيلتكم لا
فانه مع ترغيبه ليس بتخصيص فخلاصة الاقوال الاحسن المقصود بالقصد
الاول الاولى قوله فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب على العمل لا يشمل العلم والاعتقاد
واستدل عليه بالحديث الوارد في تفسير ايكم احسن عملا احسن عقلا واورع لانه التقوى
واحسن العمل تدل على كمال العقل وصحة العقيدة وفي الكشاف انه ذكر الزمخشري
ان المراد بالاحسن عملا المتقي وفي الحديث تاييد له ويحتمل ان يكون وجها ثالثا
ويجوز ان يكون احسن دالا على الزيادة المطلقة وان يكون من باب اي الفريقين
مطلقا كما قيل قوله اي ما البعث والقول به الاشارة الى وجه مطابقة جوابهم
لقول الرسول صلى الله عليه وسلم انكم مبعوثون بوجهين احدهما انه اشارة الى قول
الرسول عليه السلام وذكر البعث والتركيب من التشبيه البليغ اي هذا القول كالسحر في
بطلانه والثاني انه اشارة الى القرآن لانه قال لو تلوت عليهم من القرآن ما فيه
اثبات البعث لقالوا هذا المتلو سحر والمراد انكار البعث بطريق الكناية
الابانة لان انكار البعث انكار القرآن وقيل الاول اوضح الوجه الاول اذ
لا لطف في تشبيه السحر ولعله ذا دخول الباطل الذي وخفائه الوجه

فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع
رجاؤه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه
نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب
السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر
والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج
لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبتدأ
الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا
لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان
لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكفار لسبق ذكرهم جعل الاستثناء
منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين
مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف
عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ههنا وضائق به صدرك وعارض لك
احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك
اوجاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير
ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك
والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون
افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر
سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحدة مفتريات
مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل
ما قدرت عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم

قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك لما كان الترجي يقتضي التوقع
وتوقع ترك التبليغ لما امر بتبليغه او التواني للتقية ونحوها مما لا
يليق بمقام النبوة قيل في الجواب عنه لا نسلم ان لعل ههنا للترجي
بل هي للتبعيد فانها تستعمل لذلك كما تقول العرب لعلك تفعل كذا لمن
لا تقدر عليه فالمعنى لا تترك وقيل انها للاستفهام الانكاري كما في حديث
لعلنا اعجلناك وان سلم فهو بتوقع الكفار فانه قد يكون التوقع للمتكلم
وهو الاصل لان معاني الانشاءات قائمة به وقد يكون لتوقع المخاطب او غيره
ممن له تعلق وملابسة بمعناه كما هنا فالمعنى انك بلغ بك [illegible] تبليغهم
انهم يتوقعون منك ترك التبليغ لبعضه ولو سلم ان المتوقع منه هو النبي
فلا يلزم من توقع الشيء وقوعه لوجود مانع وعلى هذا اقتصر المص رحمه الله
وتوقع ما لا يقع من المعصوم مثله غير ممتنع [illegible] وتهييج داعيته كما اشار
اليه الكشاف وسيأتي جواب آخر عنه وقوله تترك الخ اشارة الى
ان المراد باسم الفاعل المستقبل ولذلك عمل وان المراد ترك تبليغهم
لا مطلق التبليغ وما يخالف رأيهم كالطعن في آلهتهم والخيانة في الوحي
والتقية الترك لخوف والترك في بعض الاحيان ليس بخيانة لانه لا
يوجب الفوت فيرتفع الوثوق ويفوت مقصود البعثة وقوله [illegible]
[illegible] وفي بعض النسخ اقوى فهي ناقصة قوله تعالى وضائق به صدرك
قيل هو معطوف على تارك سواء كان جملة او مفردا ورد بانه [illegible]
والتوقع فاما حالية وفيه نظر لان ضيق صدره من الوحي به ان حمل على
ظاهره ليس بتوقع ايضا وانما يضيق صدره لما يعرض في تبليغه من الاذى
فهذا بناء على ما فسره فان قلت اذا كان المعنى كما بك [illegible]
[illegible]
بمقاومة عشرة او نحو والمقاومة الواحد لاثنين ونحو ذلك من التخفيف [illegible]

من دون الله ان تعاونوا على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان
ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول
متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي
مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا
انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان
لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص
هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله
آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون فيه اذ تحقق عندكم
اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم
اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة
فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل
انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من
معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها باحسانه
وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة
الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي
بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي
ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في
المنافقين وقيل في الكفرة اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما
عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة
وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله
والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا و

وباطل ما كانوا يعملون • لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا
على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام • وبطل على الفعل
افمن كان على بينة من ربه • برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار
ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة
وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل
مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل مؤمنو اهل الكتاب • ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي
هو دليل العقل • شاهد منه • شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن • ومن قبله • ومن قبل القرآن
كتاب موسى • يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القرآن ويتلوه من التلو
والشاهد جبرئيل عليه السلام او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في
يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب
عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد
من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التورية • اماما • كتابا مؤتما به في الدين • ورحمة • على المنزل عليهم
لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين • اولئك • اشارة الى من كان على بينة • يؤمنون به • بالقرآن
ومن يكفر به من الاحزاب • من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم • فالنار موعده •
يردها لا محالة • فلا تك في مرية منه • من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك •
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • لقلة نظرهم واختلال فكرهم • ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا • كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله • اولئك يعرضون على ربهم • في الموقف
بان يحبسوا وتعرض اعمالهم • ويقول الاشهاد • من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع
شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف • هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين •
تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله • الذين يصدون عن سبيل الله • عن دينه
ويبغونها عوجا • يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة

وهم بالآخرة هم كافرون • والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض • اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما
كان لهم من دون الله من اولياء • يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم
ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب • استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع • لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا
يبصرون • لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من
ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء • فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح
للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض • اولئك الذين خسروا انفسهم • باشتراء
عبادة الالهة بعبادة الله • وضل عنهم ما كانوا يفترون • من الالهة وشفاعتها او خسروا
بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة • لا جرم انهم
في الآخرة هم الاخسرون • لا احد ابين واكثر خسرانا منهم • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم • اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة • اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون • دائمون • مثل الفريقين • الكافر والمؤمن • كالاعمى والاصم والبصير والسميع
يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله
وتأبيه عن استماع كلام الله تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد
فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن
بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة لقوله الصابح فالغانم فالآيب
وهذا من باب اللف والطباق • هل يستويان • هل يستوي الفريقان • مثلا • تمثيلا او صفة
او حالا • افلا تذكرون • بضرب الامثال والتامل فيها • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم
باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول • نذير مبين • ابين لكم موجبات
العذاب ووجه الخلاص • الا تعبدوا الا الله • بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان يكون

٢٥٥

قوله فانما استرحناهم في • اي علمهم الازل لسرعة اتباعهم
لهم ان ذلك وقع منهم من غير تامل او لقصورهم الامر لانهم لا يعرفونه الا
الشيء الظاهر من امور الدنيا بعضا هو الوجه والاخفا الا كثير خطا
قوله الك يوم يعنيك او دخل نوحا عليه السلام معهم الان الحجة • ادا لا
معهم فيكون تاكيدا النفي لا فقلب عند سيبويه في قوله مازلت تغلب
وقيل الخطاب لا تباعد فقط فيكون التفاتا ويوفقكم بحى يحيكم
لذلك واياك وانتم بدل من مفعول نظنكم في النظم وقوله فخلب اي
في الموضعين وقوله اخبروني تقديم تحقيقه ان الروية تجيء بحسب
التكون بصرية وقلبية وقد جوزها الزمخشري لان كلا منهما
للاخبار فانها تم متعلق بالذي مكنونها وتوضيح تحقيقه انه يعني
على ان يكون من التنازع هنا واعمل الثاني فلا وجه لتفسير ابن عطية
بحسب الاصول اما هنا فهو متعلق بالذي مكنونها الى القائل بل
بمعنى انه لا محل منصا نقدا ومفعولا ثانيا كما صرح به وتجويز ان كنت
محذوف اي فاخبروني وفسر البينة بالحجة والبرهان كالمعجزة وقوله
باتيان البينة اي ثابت فيه والمراد البينة بالزكاة فهو من اضافة العموم
الموصوف كما سنراه في توجيه توحيد الضمير والحجة بالمعجزة الاولى على
نبوته عليه السلام قوله فعميت عليكم ولم يهدكم لا يعنى ان عما الدليل
بمعنى خفائه مجاز فيقال حجة عميا كما يقال مبصرة للتي تحققه وهو يحتمله
تبعية شبه خفاء الدليل بالعمى فان كلا منهما يمنع الوصول الى المقاصد
ويجوز ان يكون استعارة تمثيلية بان شبه الذي لا يهتدي بالحجة
لخفائها عليه بمن سلك مفازة لا يعرف طرقها فاتبع دليلا اعمى
والنظم من عبارة المعنى الاول واما دعوى القلب فيه فاصله عميتم عنها
فيا بها ذكر فيه دونه مع انه ليس بحسن هنا

اى مفتنرة متعلقة بارسلنا او بنذير • انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم • هو من ولد الجنوح
صفة العذاب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده • ونهارك صائم للمبالغة • فقال
الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة
وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر
او ارذل جمع رذل • بادى الرأى • ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو او اول الرأى من البدء والياء
مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت
حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا
من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل • وما نرى لكم • لك ولمتبعيك
علينا من فضل • يؤهلكم للنبوة والاستحقاق للمتابعة • بل نظنكم كاذبين • اياك فى دعوى النبوة
واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين • قال يا قوم ارأيتم • اخبرونى • ان كنت
على بينة من ربى • حجة شاهدة بصحة دعواى • وآتانى رحمة من عنده • بايتاء البينة او النبوة
فعميت عليكم • فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة او لان خفاءها
يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما
وقرأ حمزة والكسائى وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله • انلزمكموها • انكرهكم
على الاهتداء بها • وانتم لها كارهون • لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران
وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل • ويا قوم لا اسألكم عليه
على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر • مالا • جعلا • ان اجرى الا على الله • فانه المأمول
وما انا بطارد الذين آمنوا • جواب لهم حين سألوا طردهم • انهم ملاقوا ربهم • فيخاصمون
طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم • ولكنى اريكم قوما تجهلون
بلقاء ربكم او باقدارهم او فى التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل • ويا قوم
من ينصرنى من الله • بدفع انتقامه • ان طردتهم • بتلك الصفة والمثابة • افلا تذكرون
او النصرة الجمعية هم

قوله ولانه مقول على قال الامام هذا الشرط المؤخر لفظا مقدم فى
الوجود فانه قال الرجل لامرأته انت طالق ان دخلت الدار كان المفهوم منه
ان ذلك الطلاق من لوازم الدخول فاذا قال بعده ان اكلت الخبز كان
المعنى على ان تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول مشروط بحصول هذا الشرط
الثانى والشرط مقدم على المشروط فى الوجود فعلى هذا ان حصل الشرط الثانى
تعلق الجزاء بذلك الشرط الاول وان لم يحصل الثانى لم يتعلق الجزاء بذلك
الشرط الاول قوله وهو جواب لما دل عليه اول الكلام ماخوذ من قوله اكثرت
جدالنا فاجابهم بانحصار ان كلامى نصح وارشاد لا انه كلام بلا فائدة يكون
الغرض منه مجرد الجدال وانما لم يعد لانه شرطه بكلمة ان اراد اضلالكم
يهلككم قوله ان اردت ان انصح ان ابقى على الاستقبال لا ينافى كونه
نصحهم فى الماضى وقيل انه مجاراة لهم لاستفهامهم الجدال لا انه زعموا انه
ليس بنصح اذ لو كان نصحا قبل منه قوله وهو دليل على ان ارادة الله تعالى
يجوز ذلك مذهب الاعتزال ولهذا قال الزمخشرى ان الاغواء قبيح والقبيح لا يصدر
عنه تعالى ولا يريده وان وقع من عكوه وقع بدعوة الارادة منه لكنه قيل
على ان الشرطية لا تدل على وقوع الشرط والاجزاء فلا يتم الاستدلال به
ولا يحتاج الى التاويل الآتى ودفع بان المقام ينبو عنه لعدم الفائدة فى
مجرد فرض ذلك فانه اراد ارجاعه الى قياس استثنائى فاما ان يستثنى
عين المقدم فهو المطلوب او نقيض التالى فيخرق الواقع لعدم حصول النفع
قوله وان خلاف مراده محال هذا الفرد الا بالذات والا لم تصدق الشرطية
الدالة على لزوم الجواب للشرط فتدبر ولو قال بدل هذا وان مراده
لا يتخلف عن ارادته كان اظهر لظهور القول بان اعانة الله من مراده خلاف
مراده نفع النصح لهم فانه كان ما يصح النظم ان الاغواء مراده لا ان عدم نفعه
لازم للاغواء وارادة الملزوم ارادة للازم • تمت

لن تعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب • ولا اقول لكم عندي خزائن الله
خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي • ولا اعلم الغيب • عطف على عندي خزائن الله اي ولا
اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة
وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول لكم • ولا اقول اني ملك • حتى تقولوا ما انت الا بشر
مثلنا • ولا اقول للذين تزدري اعينكم • ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم • لن
يؤتيهم الله خيرا • فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا • الله اعلم بما في انفسهم
اني اذا لمن الظالمين • ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت
تاؤه دالا لتجانس الراء في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم
بادي الرأي من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم و
كمالاتهم • قالوا يا نوح قد جادلتنا • خاصمتنا • فاكثرت جدالنا • فاطلته او اتيت بانواعه
فأتنا بما تعدنا • من العذاب • ان كنت من الصادقين • في الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا • قال انما يأتيكم به الله ان شاء • عاجلا او آجلا • وما انتم بمعجزين • بدفع العذاب او
الهرب منه • ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم • شرط ودليل جواب قوله ان كان الله يريد
ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك
نقول لو قال الرجل لامرأته ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق
وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء
وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل اذا بشم فهلك • هو ربكم •
خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته • واليه ترجعون • فيجازيكم على اعمالكم • ام يقولون افتراه
قل ان افتريته فعلي اجرامي • وباله وقرئ اجرامي على الجمع • وانا بريء مما تجرمون • من اجرامكم
في اسناد الافتراء الي • واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون • اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوا من التكذيب والايذاء • واصنع الفلك

باعيننا • متلبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال
والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل • ووحينا • اليك كيف تصنعها •
ولا تخاطبني في الذين ظلموا • ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم • انهم مغرقون •
محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه • ويصنع الفلك • حكاية حال ماضية • وكلما مر عليه ملأ
من قومه سخروا منه • استهزؤا به لعمل السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان
عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا • قال ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم كما تسخرون • اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه • يعني به اياهم وبالعذاب الغرق • ويحل عليه • وينزل عليه او يحل
عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه • عذاب مقيم • دائم وهو عذاب النار • حتى اذا جاء امرنا
غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام • وفار
التنور • نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة
وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض
او اشرف موضع فيها • قلنا احمل فيها • في السفينة • من كل • من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها • زوجين
اثنين • ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين
من كل صنف ذكر وصنف انثى • واهلك • عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه و
نساؤهم • الا من سبق عليه القول • بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين
ومن آمن • والمؤمنين من غيرهم • وما آمن معه الا قليل • قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه
الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين و
جعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير • وقال
اركبوا فيها • اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض • بسم الله مجراها ومرساها •

375

314

313

متصل باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها
او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم
وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر
اى اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها
او حال مقدرة من الواو او الها وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان
ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائى
وعاصم مجراها بالفتح والامالة من جرى وقرئ ايضا مرساها وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها
بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربى لغفور رحيم اى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم
وهى تجرى بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها فى موج كالجبال
فى موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها
وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت و
المشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه
كنعان وقرئ ابناه وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة
لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين وقرئ
ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان فى معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن
دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بنى اركب معنا فى السفينة والجمهور كسروا الياء
ليدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاول
باتفاق الرواة وفى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة
من ياء الاضافة واختلفت الروايات عنه فى سائر المواضع وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى
وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين فى الدين والاعتزال قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء
ان يغرقنى قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من

من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم
المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم لا ذا عصمة كقوله تعالى عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي
لكن من رحمه الله يعصمه • وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل • فكان من المغرقين
فصار من المهلكين بالماء • وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي • نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا
بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه
المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه • والبلع النشف • والاقلاع الامساك
وغيض الماء نقص • وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين • واستوت
واستقرت السفينة • على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل • روي انه ركب السفينة عاشر
رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة • وقيل بعدا للقوم الظالمين
هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء
السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال
وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم
الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار • ونادى نوح ربه • واراد نداءه بدليل
عطف قوله • فقال رب ان ابني من اهلي • فانه النداء • وان وعدك الحق • وان كل وعد تعده حق لا يتطرق
اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه • وانت احكم
الحاكمين • لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع
قال يا نوح انه ليس من اهلك • لقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح
فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت • فانما هي اقبال وادبار • ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما
وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه • وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح • فلا تسألن
ما ليس لك به علم • ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك • وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله

استجازه في شان ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله • اني اعظك ان تكون من الجاهلين • لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل • قال رب اني اعوذ بك ان اسألك • في المستقبل • ما ليس لي به علم • ما لا علم لي بصحته • والا تغفر لي • وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال • وترحمني • بالتوبة والتفضل علي • اكن من الخاسرين • اعمالا • قيل يا نوح اهبط بسلام منا • انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك • وبركات عليك • ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي • وعلى امم ممن معك • وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله • وامم سنمتعهم • اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا • ثم يمسهم منا عذاب اليم • في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم • تلك • اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها • من انباء الغيب • اي بعضها • نوحيها اليك • خبران والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء • ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا • خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم • فاصبر • على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح عليه السلام • ان العاقبة • في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز • للمتقين • عن الشرك والمعاصي • والى عاد اخاهم هودا • عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان •

٥١

قال يا قوم اعبدوا الله • وحده • ما لكم من اله غيره • وقرأ الكسائي بالجر حملا على اللفظ وحده

ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء • يا قوم لا اسألكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني • خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة
فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع • افلا تعقلون • افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من
المبطل والصواب من الخطأ • ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه • اطلبوا مغفرة الله بالايمان
ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده
يرسل السماء عليكم مدرارا • كثير الدر • ويزدكم قوة الى قوتكم • ويضاعف قوتكم وانما
رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر
واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه السلام بالتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة
بالتناسل • ولا تتولوا • ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه • مجرمين • مصرين على اجرامكم • قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة • بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من المعجزات • وما نحن بتاركي آلهتنا • بتاركي عبادتهم • عن قولك • صادرين عن قولك حال
من الضمير في تاركي • وما نحن لك بمؤمنين • اقناط له من الاجابة والتصديق • ان نقول الا اعتراك
ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه • بعض آلهتنا بسوء • بجنون
بسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو
لان الاستثناء مفرغ • قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون • اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه
عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد
في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء
ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما
منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى
اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه

٢٥٩

بقوله • اني توكلت على الله ربي وربكم • تقرير له والمعنى انكم ان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني
متوكل على الله واثق بكلائته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره
ثم برهن عليه بقوله • ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها • اي هو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها
والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك • ان ربي على صراط مستقيم • اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم
ولا يفوته ظالم • فان تولوا • فان تتولوا • فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم • فقد اديت ما علي من الابلاغ
والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم • ويستخلف ربي قوما غيركم
استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب
بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل فان تتولوا يعذرني ويستخلف • ولا تضرونه • بتوليكم
شيئا • من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه • ان ربي على كل شيء حفيظ • رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم
ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء • ولما جاء امرنا • عذابنا او امرنا بالعذاب •
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا • وكانوا اربعة آلاف • ونجيناهم من عذاب غليظ • تكرير لبيان
ما نجاهم عنه وهو السموم وكانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به
تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون
في الآخرة بالعذاب الغليظ • وتلك عاد • انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم
وآثارهم • جحدوا بآيات ربهم • كفروا بها • وعصوا رسله • لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا
فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول • واتبعوا امر كل جبار عنيد • يعني كبراءهم الطاغين
وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم • واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة • اي جعلت اللعنة تابعة
لهم في الدارين تكبهم في العذاب • الا ان عادا كفروا ربهم • جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار
الا بعدا لعاد • دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم
بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم • قوم هود • عطف

عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى
بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم
من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب
واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى
بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة
عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا
سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا
عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية وانّنا لفي شك مما تدعونا اليه
من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريب من ارابه او ذي ريب على الاسناد
المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف
الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته
في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير
ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم
الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال عاملها معنى الاشارة ولكم حال
منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها
بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها
فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون
ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه
سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد
غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا

ومن خزي يومئذ أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم
القيامة وعن نافع والكسائي هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء
من المضاف اليه إن ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا
في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الأعراف كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم نونه أبو بكر
هنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو في قوله ألا بعدا لثمود ذهابا الى
الحي أو الأب الأكبر ولقد جاءت رسلنا إبراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل كانوا ثلاثة
جبريل وميكائيل وإسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما
سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام أي أمركم أو جوابي سلام
أو وعليكم سلام رفعه إجابة بأحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما
لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فما أبطأ مجيئه به أو فما أبطأ في
المجيء به أو فما تأخر عنه والجار في أن مقدر أو محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت
الفرس إذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى أيديهم لا تصل إليه لا يمدون إليه أيديهم
نكرهم وأوجس منهم خيفة أنكر ذلك منهم وخاف أن يريدوا به مكروها ونكر وأنكر واستنكر بمعنى والإيجاس
الإدراك وقيل الإضمار قالوا له لما أحسوا منه أثر الخوف لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط
إنا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب وإنما لم نمد إليه أيدينا لأنا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع
محاورتهم أو على رؤوسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد أو بإصابة
رأيها فإنها كانت تقول اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت
فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم يعد حقاها ثدياها أن تحلما ومنه ضحكت السمرة إذا سال
صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص
بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء إسحق يعقوب وقيل إنه معطوف على موضع
بإسحق أو على لفظ إسحق وفتحه للجر فإنه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه

بالظرف وقرئ يعقوب بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء

ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من جهة ان يعقوب وراءه

بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما

في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها

كانت عقيمة حريصة على الولد. قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء

على الاصل. أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين. وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر. شيخا

ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو

شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل. ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث

العادة دون القدرة ولذلك. قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت. منكرين

عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات

ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح

او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة. انه حميد مجيد. كثير الخير والاحسان. فلما ذهب

عن ابراهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع. يجادلنا في قوم

لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية

الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في

جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا. ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء

اليه. اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس. منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له

على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته. يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم. اعرض عن هذا

الجدال. انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم. وانهم آتيهم عذاب

غير مردود غير مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك. ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم

لانهم جاؤوا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم.

وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه. وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده. وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه. ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين. قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم. هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو فانه لا يقع بين الحال وصاحبها. فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم. ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء. في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاؤه. اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح. قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة. وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران. قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم. او آوي الى ركن شديد الى قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب. قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة. فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى. بقطع من الليل بطائفة منه. ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط. الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة. ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة. ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض. الا كتب لهم ذلك. ليجزيهم الله بذلك. احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم. وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش. فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة. ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها. ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد. لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم. يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة. وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها. واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة. واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين. من يقول انكارا واستهزاء. ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته. فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة

324

وانضمام الايمان بها وثباتهم الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع
درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها
وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه • اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء
انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون • لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون • ولا يعتبرون
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم
هل يريكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا
ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم
قوم لا يفقهون • لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من
انفسكم اي من اشرافكم • عزيز عليه • شديد شاق ما عنتم • عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم • اي على
ايمانكم وصلاح شانكم • بالمؤمنين • منكم ومن غيركم رؤف رحيم • قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة
شدة الرحمة محافظة على الفواصل • فان تولوا • عن الايمان بك • فقل حسبي الله • فانه يكفيك معرتهم ويعينك
عليهم • لا اله الا هو كالدليل عليه • عليه توكلت • فلا ارجو ولا اخاف الا منه • وهو رب العرش العظيم •
الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع •
وعن ابي رضي الله عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة •
وقل هو الله احد فانهما انزلتا ومعهما سبعون
الف صف من الملائكة •

دور

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع او عشر آيات

دور

325

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء • تلك آيات الكتاب الحكيم •
اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد بالكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم
او محكم آياته لم ينسخ شيء منها • اكان للناس عجبا • استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمها ان اوحينا وقرئ
بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم
يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم • الى رجل منهم • من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة
وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال
اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره
في سورة الانعام • ان انذر الناس • ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا • وبشر الذين آمنوا •
عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به • ان لهم
بان لهم قدم صدق عند ربهم • سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها
تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية • قال الكافرون
ان هذا • يعنون الكتاب وما جاء به الرسول • لساحر مبين • وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى
الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين • ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض • التي هي اصول الممكنات • في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر • يقدر امر الكائنات على ما اقتضته
حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابه وينزله منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة
ما من شفيع الا من بعد اذنه • تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله
وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له • ذلكم الله • اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية • ربكم
لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك • فاعبدوه • وحدوه بالعبادة • افلا تذكرون • تتفكرون ادنى تفكر
فتنبهوا على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه • اليه مرجعكم جميعا • بالموت او النشور لا الى غيره

فاستعدوا للقائه • وعد الله • مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله • حقا • مصدر آخر مؤكد لغيره
وهو ما دل عليه وعد الله • انه يبدأ الخلق ثم يعيده • بعد بدئه واهلاكه • ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط • اى بعدله او بعدلهم وقيامهم على العدل فى امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم
وهو الاوجه لمقابلة قوله • والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون • فان معناه ليجزي الذين
كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات
من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك
لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه
مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع
اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب
وعد الله او بما نصب حقا • هو الذي جعل الشمس ضياء • اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء
كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم
اللام على العين • والقمر نورا • اى ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات
ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض
مقابلة الشمس والاكتساب منها • وقدره منازل • الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل
او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك
علله بقوله • لتعلموا عدد السنين والحساب • وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق • الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة • نفصل الآيات لقوم يعلمون
فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء • ان فى اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله فى السموات والارض • من انواع الكائنات • لآيات • على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته • لقوم يتقون • العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر • ان الذين لا يرجون لقاءنا
لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوس عما وراءه • ورضوا بالحيوة الدنيا • من الآخرة

لغفلتهم عنها • واطمأنوا بها • وسكنوا اليها مقصرين همهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا
فيها سكون من لا يزعج عنها • والذين هم عن آياتنا غافلون • لا يتفكرون فيها لانهماكهم
فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول
عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير
الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه
حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعداد له • اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون • بما
واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه الصلوة والسلام
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل
على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال
الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف • تجري من تحتهم الانهار • استيناف
او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله • فى جنات النعيم • خبر او حال آخر
منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي • دعواهم فيها • اى دعاؤهم • سبحانك اللهم
اللهم انا نسبحك تسبيحا • وتحيتهم • ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم • فيها سلام
وآخر دعواهم • وآخر دعائهم • ان الحمد لله رب العالمين • اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى
انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم
الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه
بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد • ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير • ولو يسرع اليهم الشر استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته
لهم فى الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه فامطر علينا حجارة من السماء
وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله الخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير

نحو فيه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى
على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا
وإذا مس الإنسان الضر دعانا لإزالته مخلصا فيه لجنبه أي مضطجعا أو قاعدا أو قائما وفائدة
الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر
على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع إليه كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال
ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان إلى ضر مسه إلى كشف ضر مسه كذلك مثل ذلك التزيين زين
للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادة ولقد أهلكنا القرون من
قبلكم يا أهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف على ظلموا وما كانوا
ليؤمنوا وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على
كفرهم واللام لتأكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم الرسل وإصرارهم
عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في إمهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر
موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم استخلفناكم
فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون أتعملون خيرا أو شرا
فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجبه أن يعمل فيه ما قبله وفائدته
الدلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة
ويقبح أخرى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير
هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معايب
آلهتنا أو بدله بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم
فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي أن أبدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا

ظرفا وإنما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر إن أتبع إلا ما
يوحى إلي تعليل لما يكون فإن المتبع لغيره في أمر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض
الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل
في الجواب وسماه عصيانا فقال إني أخاف إن عصيت ربي أي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه
إيماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا أدراكم
ولا أعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم
به على لسان غيري والمعنى أنه الحق الذي لا محيص عنه ولو لم أرسل به غيري وقرئ ولا أدرأكم بالهمزة فيهما على
لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أي ولا أجعلكم بتلاوته خصماء
تدرؤونني بالجدال والمعنى أن الأمر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك
بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار أربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه فإنه إشارة
إلى أن القرآن معجز خارق للعادة فإن من عاش بين ظهرانيهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما
ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى
على قواعد علمي الأصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين على ما هي عليه علم أنه
به من الله أفلا تعقلون أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس إلا من الله فمن
أظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما أضافوه إليه كناية أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم إنه لذو شريك
وذو ولد أو كذب بآياته فكفر بها إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
لأنه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع أو دفع
ضر ويقولون هؤلاء الأوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أو في الآخرة
إن يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى
عبادة ما يعلم قطعا أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده قل أتنبئون الله أتخبرونه
بما لا يعلم وهو أن له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم أو هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات

لا يكون الا بتحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدون
من دون الله اما سماوي واما ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم
لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما كان
الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام
الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى
والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم
بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما
الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا
لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل من الآيات العظام واقتراحكم
غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا
بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا
فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل
ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر
اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق
للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون
بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين
من النشر في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى
الغيبة للمبالغة كانه تذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها
بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات
عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم

اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين
من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان
دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا
لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجأوا الفساد فيها او
سارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق
زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه
على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر
بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه
حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار
من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي
وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا
حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول
والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس
اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل
وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه
ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها
اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل
في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعدما كان غضا
والتف وزين الارض حتى طمع اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان ولي حرف التشبيه لانه

من نشب المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام
دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة
فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء اي بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك
الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة
وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة
تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر
وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشيها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك
من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف
الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى
على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة
هي الفضل او التضعيف او كأنما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ
خبره محذوف اي فجزاء سيئة واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ
بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين
كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اغطيت لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل
والعامل فيها اغشيت لان العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة
او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما
صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار
لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه
ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما

ما يفعل بكم • انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله • وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه
فزيلنا بينهم • ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم • وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون •
مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك
لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها
وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين • فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم • فانه العالم
بكنه الحال • ان كنا عن عبادتكم لغافلين • ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة • هنالك • في ذلك
المقام • تبلو كل نفس ما اسلفت • تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره • وقرأ حمزة والكسائي
تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو بمعنى التبع اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار
وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر بحالها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية
بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض • وردوا الى الله • الى جزائه اياهم بما اسلفوا
مولاهم الحق • ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر
المؤكد • وضل عنهم • وضاع عنهم • ما كانوا يفترون • من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا تدعون انها آلهة •
قل من يرزقكم من السماء والارض • اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية
او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض
امن يملك السمع والابصار • ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها
وسرعة انفعالها من ادنى شيء • ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي • ومن يحيي ويميت
او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه • ومن يدبر الامر • ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم
بعد تخصيص • فسيقولون الله • اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه • فقل افلا تتقون
انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك • فذلكم الله ربكم الحق • اي المتولي لهذه الامور
المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم • فماذا

فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اى بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله وقع
فى الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية لله او
ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا فى
كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة
بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور
برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه السلام بان ينوب عنهم فى الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق
ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم
من يهدى الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى
يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها
ما اسند الى الله قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى ام الذى
لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال
اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء
وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت
لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء
الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضى
صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة
كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمى
منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء
ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد
والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان
هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه مطابقا لما

لما تقدمه من الكتب الالهية المشهورة على صدقها فلا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها
شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذى وقرئ
بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع
لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب
فانه مفعول فى المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق
بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير فى فيه
ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون
افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فأتوا بسورة مثله فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء
فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا
بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين
انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان
يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما
يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل
ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق او كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى
ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة
اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا
لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به
فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره
او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان اصروا
على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لى عملى ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزا

عليكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون • لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه
من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف • ومنهم من يستمعون اليك • اذا قرأت
القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا • افانت تسمع الصم • تقدر على اسماعهم •
ولو كانوا لا يعقلون • ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود
منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة
بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ
عليهم غير ما ينتفع به البهائم كلام الناعق • ومنهم من ينظر اليك • يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون •
افانت تهدي العمي • تقدر على هدايتهم • ولو كانوا لا يبصرون • وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان
المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن
لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم • ان الله لا يظلم الناس شيئا • بسلب حواسهم وعقولهم
ولكن الناس انفسهم يظلمون • بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس
مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب
عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه • ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة
من النهار • يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال
اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر
محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله • يتعارفون بينهم • يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا
وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة او بيان
لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم • قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله •
شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول • وما كانوا
مهتدين • لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم
الى الردى والعذاب الدائم • واما نرينك • نبصرنك • بعض الذي نعدهم • من العذاب في حياتك كما اراه

اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليهم ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك
رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم
الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول
واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد
عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم
ويقولون متى هذا الوعد استبعاد له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون
ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا
وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء
من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع
الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو
تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون
الجملة متعلقة بارأيتم او قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم
الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير الآن على ارادة القول اي قيل
لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به
تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على
الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق
هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر
ان الاستفهام فيه على اصل لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا

بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مساد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك
قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم
القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب
ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها
من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه
من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه
يقال سر الشي لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشي واسره اذا اظهره وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة
بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته
على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم
لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في الاخرة لان القادر
لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب
جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي
هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم
فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها
للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم
الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان
بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها
فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب
الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب

وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده ان قرئ فافرحوا هو خير
مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون
فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء
محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذ
وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون
في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة
ومعنى الهمزة تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شي ظنهم يوم القيمة
ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد
عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن
اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان وما تتلو منه ولا تكون في امر واصله الهمزة من شانت
شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القران معظم شان الرسول او لان القراءة
تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران
واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر
حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه
اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي
بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة
لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على
احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام براسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها
وفي كتاب خبرها وقرا يعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر
لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله

الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون لفوات
مأمول والآية مجمل فسره قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان
لتوليهم لربهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من
الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم
مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف
الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك
اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم
شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ
نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح
كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لأن الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم
هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة
والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق
ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي
شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه
ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية
منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين تدعونهم
شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم
لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون
انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم
نعمته المتوحد هو بها ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة

تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار
قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب
من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض
تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا
لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كأنه قيل ان عندكم في هذا من سلطان اتقولون
على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة
وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ
الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر
مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع
او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم
نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي
بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به
فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز
من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف
تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده
والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة
مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم
من ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا
الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيري
فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري الا على الله

والتذكير. الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم. وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين
لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره. فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم
وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب. فنجيناه من الغرق. ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين. وجعلناهم
خلائف من الهالكين به. واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان. فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم
لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له. ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم
كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم. فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم
ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم. بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل
بعثة الرسل. كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على
ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك. ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون
الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع. فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا
برسالة ربهم واجترؤوا على ردها. فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك
قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه. قال موسى
أتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المدلول عليه بما قبله ولا يجوز ان يكون أسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو
استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون
للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول. ولا يفلح الساحرون من
كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر
او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون. قالوا اجئتنا
لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان. عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام. وتكون لكما الكبرياء
في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء او التكبر على الناس باستتباعهم. وما نحن لكما بمؤمنين
بمصدقين فيما جئتما به. وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم حاذق فيه. فلما جاء
السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه

فرعون وقومه سحرا وقرا ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر
بدل منها او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف اى السحر هو ويجوز ان ينتصب ما
بفعل يفسره ما بعده تقديره اى شىء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح
عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق
ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى فى مبدا امره
الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من
شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه
وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمع على ما هو المعتاد فى ضمير
العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو
بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسببه وان فرعون لعال فى الارض
لغالب فيها وانه لمن المسرفين فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما راى
تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء
الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام
حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا
مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اى لا تسلطهم
علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه
على ان الداعى ينبغى ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان اتخذا مباءة لقومكما
بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة
مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان موسى يصلى اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم
لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى
الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم للتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة

مما ينبغي ان يفعل كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة. وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون
وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا
عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام
للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم
لما جعلوها سببا في الضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا او تنبيها على ان المقصود عرض
ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم واشدد على
قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ
النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض. قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن في وقته روي انه
مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق
والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع
ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ
جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده
بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه
لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستئناف
بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل. آلآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك
ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن
الايمان فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك
بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية من الساحل ببدنك في موضع
الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب
يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها

لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه
لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي بعدك
من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان
عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر
الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك
دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا يحتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها. ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر
ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا
التورية وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك
يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك
مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق
عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن
مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليك او تهييج الرسول وزيادة تثبيته
لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي والمراد امته او لكل
من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في
الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات
القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات
الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمت ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب
كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود
حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت

قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها
بان يقبل الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة
العذاب ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن
حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهلها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية
فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس
عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا
الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس
فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان
وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم
بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ
ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس
بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار
وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه
اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او
الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر
في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا تفكروا ماذا
في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا
عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام

ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف
فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا
يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت
وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل
الاستثناء في القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل منهم ولا يبعد ان يكون اكثر
القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة
الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم
الصبح كأنه علة للامر بالاسراء أليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا
عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب
لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر
فانه روي ان جبرئيل ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب
وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر
لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء
المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي
من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع بعضه بعضا
كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة
او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد
فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبرئيل فقال يعني
ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من
ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم
شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله

ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان أمرهم بالتوحيد أولا فإنه ملاك الأمر ثم نهاهم عما اعتادوه
من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض إني أراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على
الناس شكرا عليها لا أن تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم عليه وهو في الجملة علة النهي وإني أخاف
عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه أحد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله وأحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة
أو عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم أوفوا المكيال والميزان
صرح الأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على أنهم لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم
السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فإن الازدياد
إيفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس أشياءهم تعميم بعد تخصيص فإنه
أعم من أن يكون في المقدار أو في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن العثو يعم تنقيص الحقوق
وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور في المعاملات والعثو السرقة وقطع
الطريق والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا
في الأرض مفسدين أمر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم
خير لكم مما تجمعون بالتطفيف إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب
مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان أو إن كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرئ
تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما أنا عليكم بحفيظ أحفظكم عن القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم
عليها وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت حين أنذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم
قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام أجابوا به أمرهم بالتوحيد على الاستهزاء
والتهكم بصلوته والإشعار بأن مثله لا يدعو إليه داع عقلي وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب
عليه وكان شعيب كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الإفراد والمعنى أصلوتك تأمرك
بتكليف أن نترك فحذف المضاف لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء عطف على ما أي وأن نترك
فعلنا ما نشاء في أموالنا وقرئ بالتاء فيهما على أن العطف على أن نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر با

بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا بذلك انك لانت الحليم الرشيد
تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد
المانعين من المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما آتاه
الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه من المال الحلال وجواب الشرط محذوف
تقديره فهل يسعني مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه فاخالفه
في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من
عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان آتي ما انهاكم
عنه لاستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو
مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم
بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه
الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق
ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم
عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح
ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت
فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة
الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم
الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره و
الاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء
ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح
او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم
بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل

بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم
لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي
فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى
في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم
عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن
يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب
التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه
او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك
سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء
الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا
لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الحجارة او
باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات
بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة
قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ
وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسله فلا تتقونه وتتقون رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد
والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء
منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام
والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها هنا لانه جواب سائل قال
فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب
والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه
ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبو

وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب
كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر
وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم
الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم
جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود
شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ
بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسورة
ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتوراة او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها
لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته
واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع
والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى
او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال
والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون
برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم
في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء
فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين
العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من كان هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له
على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي يلعنون
في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده
والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك
مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود

وبجملة مستانفة وتبين حال من لا وفى بنفسه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم
بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله
من شيء لما جاء امر ربك لما جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ
اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي
وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا
بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص منه
وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة
لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظمه لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر به عن موجبه
لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل
المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة
وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه
من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه
من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى
المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم
اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية
على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأت اي الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم
الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب
للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا
في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او المأذون فيه هي الجوابات الحقة
والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد

والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم
فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة
كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم
خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوام كونهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد دوامهم
وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط
لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم
لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه
ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود
في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف لصحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه
زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدأ معين ينتقض
باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى
هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك
الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم
لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى
الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس
والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا
في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل
ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى
كقولك علي الف الا الفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات
والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات

الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب
ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله
بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل عليك
من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك
سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف معناه
تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدونه شيئا الا مثل
ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان
يعبد فحذف لدلالة من قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كاباءهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخير
العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه
ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة
سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم
وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين
والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم
اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد
على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اوليهن والمعنى لمن الذين يوفينهم
ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به
انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب
في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط
بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام
بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني سورة
هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام

لغيا الفاصل مقام ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل
للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين
ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم
اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل
اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط
فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم
من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه
ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء
بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم
الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار
فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوة من اول النهار وصلوة العشية
العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون
كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة
كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اصبت من امرأة غير اني
لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات
وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان
وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية من الرأي والعقل او اولو فضل وانما
سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية
اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل

359

من النهي اللازم للتحقيق واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء
ذلك وكانوا مجرمين كافرين كأنه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى
وترك النهي عن المنكر مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين
عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته
في حقوقه ولذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على
الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول
الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة
وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك
من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة
قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك
من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر
فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون
ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة
امرهم وامرك اليه فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل
عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء

سورة يوسف مكية وآياتها واحد عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم الر

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها
في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبار المشركين
سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض
قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال
لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة
اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص
معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله
على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك
هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة
لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص
ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا انه مضارع
بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهور شهد بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة
ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها
او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء
المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت
من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم
قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف
والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها
فلا تكرار وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة

لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته
ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة
والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب
عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه
فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت
الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك
اي كما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء
اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك
ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث
كأباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على
نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح
وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء
حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات للسائلين دلائل قدرة الله وحكمته او علامات
نبوتك وقرئ آية للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون
ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما
ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله
بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب
اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا

قوله لتعلقه اخافة باكل الذئب وقع من يعقوب عليه السلام تلقينا للجواب من غير قصد
وهو على اسلوب ما في قوله ما غرك بربك الكريم والبلاء موكل بالمنطق وفي
الاثر عن ابن عمر رضي الله عنهما لا تلقنوا الناس فيكذبون فان بني يعقوب
لم يعلموا ان الذئب ياكل الناس فلما لقنهم اي اخافه باكل الذئب قالوا اكله
الذئب كذا في الجامع الكبير وهذا تنبيه بفتح الميم اي كثيرة الذئاب مفعلة
لهذا اللفظ كثير كمقثاة وقوله وقيل رأى في المنام ان الذئب يحذره عن الحذر والحذر
وانما حذره لان الانبياء عليهم السلام لمناسبتهم التامة بعالم الملكوت ياتيهم
بعينها واقعة الا ان الذئب في النوم يؤول بالعدو وشد بعضه وقد حمل
والذئب عند حمزة ومن تقرا باي على اصل وهي ابدلها با لسكونها وانكسار
ما قبلها اي على القياس وهي حمزة لو وقف فلان التقاء الساكنين في الوقف
جائز لكن اذا كان الاول حرف مد يكون احسن وقوله من تذائبت بالدال
التفاعل كما في الاساس الذي نقل اهل اللغة عن الاصمعي على ما ذكره المرتبا
الزمخشري لانهم جعلوا تذائبت الريح ماخوذا من الذئب لانها اتت كما يأتي
وهو ذنب والذاعرة مجاز في الاساس لكنه عدل عنه لان اخذ الفعل من الاسماء
الجامدة قليل وقيل مخالف للقياس قوله اللام موطئة للقسم تقدم تفسيرها
وهو بشرط ان تدخل على شرط مسبوق بقسم لفظا او تقديرا لتوطئ الجواب
المذكور بعدها وتوذن به ولهذا سمي موذنة ايضا وقوله وجواب اي جواب
على القسم وهو المقصود بالذكر اي لتوطئ الجواب للقسم قوله ضعفا مغبونين
خاسرين هنا اما من الخسار بمعنى الهلاك او من خسران التجارة وكلا هما غير
مراد فهو اما مجاز عن الضعف والعجز او تشبيه او سبكي في قوله تعالى ولئن
اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اي عاجزون او المراد به مستحقون
لان يدعى عليهم بالهلاك اشار الى انه يجوز اخذ ذلك من كلام الربح في
التجارة بقوله مغبونون والوجوه في الكشف اربعة هاكون ضعفا

افقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي

الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصب كالظروف المبهمة يخل لكم وجه

ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد

وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين

تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم

بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم

والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبته عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات في الموضعين كانه لتلك الجب

غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين

بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه

وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير اردوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم

والمشهور تأمنا بالادغام بالاشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا

غدا الى الصحراء يرتع يتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين

على انه يفتعل من رعى ونافع بالكسر والياء فيه وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء فيهما على اسناد الفعل الى يوسف وانا له لحافظون

ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله الذئب

لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير

ونافع في رواية اليزيدي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذائبت الريح اذا هبت من

كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة

اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفا مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو

في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس

او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى

فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال

يجوز اذا ما قاصد ثم وان لا تقتلوه فالقوه في البئر فدلوه في البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه
بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك
ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبرئيل عليه السلام
بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى
وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه
ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا
لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيآت
وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا
وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء
آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي
انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او
في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن
لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي
كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكدب
بالدال الغير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص
وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف
صاح وسال عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من
هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم انفسكم وهونت في اعينكم
امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي
لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت
قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من

من القائه فيها فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها
فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم
لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون
على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء ليبيعه بمصر وقيل
الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهودا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا
غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه
ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي
مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا
يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين
عنه والضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف
عن انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف و
ان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي
كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل
كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون
يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة
سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين
سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه
فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى
ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد
ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك
مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه قلب العزيز

مكانه فيها ولنعلمه من تأويل الأحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه أي كان القصد في إنجائه وتمكينه الى أن
يقيم العدل ويدبر أمور الناس ويعلم معاني كتب الله وأحكامه فينفذها أو يعبر المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها
ويشتغل بتدبيرها قبل أن تحل كما فعل لسنته والله غالب على أمره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء أو على أمر يوسف أراد به
إخوته شيئا وأراد الله غيره فلم يكن إلا ما أراده ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيده أو لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ
أشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والأربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما
حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس وعلما يعني تأويل الأحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على أنه تعالى إنما
آتاه ذلك جزاء على إحسانه في عمله واتقائه في عنفوان أمره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت أن يواقعها
من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الأبواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الإيثاق
وقالت هيت لك أي أقبل وبادر أو تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ
ابن كثير بالضم تشبيها بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهشام كذلك وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء
يهيء إذا تهيأ وقرئ هئت قال معاذ الله أعوذ بالله معاذا إنه ربي أحسن مثواي
سيدي قطفير أحسن تعهدي إذ قال لك في أكرمي مثواه فما جزاؤه أن أخونه في أهله وقيل الضمير لله تعالى أي إنه خالقي وأحسن منزلتي بأن
عطف علي قلبه فلا أعصيه إنه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فإن الزنا ظلم على الزاني والمزني بأهله
ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بشيء أمضاه
والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل
من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم أخف الله لولا أن رأى برهان ربه في قبح الزنا
وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز أن يجعل وهم بها جوابه فإنه في حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها
جوابا بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل همه بها عزمه وقيل نودي يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل
عمل السفهاء كذلك مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو الأمر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا إنه من عبادنا
المخلصين الذين أخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن إذا كان في أوله الف ولام
أي الذين أخلصوا دينهم لله واستبقا الباب أي تسابقا إلى الباب فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك أن يوسف فر منها ليخرج

ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا
وألفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم إيهاما بأنها فرت منه
تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف وإغراء به انتقاما منه وما نافية أو استفهامية بمعنى أي شيء جزاؤه إلا السجن
قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة وإنما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله
وشهد شاهد من أهلها قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام وإنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها ليكون ألزم عليها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت
لأنه يدل على أنها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها أو أنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وإن كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين لأنه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على إرادة القول أو على أن فعل
الشهادة من القول وتسميتها شهادة لأنها أدت مؤداها والجمع بين إن وكان على تأويل أن يعلم أنه كان ونحوه ونظيره قولك إن أحسنت
إلي فقد أحسنت إليك من قبل فإن معناه إن تمنن علي بإحسانك أمنن عليك بإحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم
لأنهما قطعا عن الإضافة كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال
إنه أي قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أو أن السوء أو أن هذا الأمر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولأمثالها أو لسائر
النساء إن كيدكن عظيم فإن كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس ولأنهن يواجهن به الرجال والشيطان
يوسوس مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث أعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري
لذنبك يا راعيل إنك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ إذا أذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة
هو اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال أي أشعن
الحكاية في مصر أو صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأة العزيز تراود
فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها إياها والعزيز بلسان العرب الملك وأصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها
حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل إلى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف
البعير إذا هنأه بالقطران فأحرقه إنا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن
وإنما سماه مكرا لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره أو قلن ذلك لتريهن يوسف أو لأنها استكتمتهن سرها فأفشينه عليها

أرسلت إليهن تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات وأعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة
منهن سكيناً حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن فإذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن
فيقطعنها فيبكتن بالحجة أو تهاب يوسف من مكرها إذا خرج وحده على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر وقيل متكأ طعاماً أو مجلس طعام
فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفاً ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ
طعام يحز حزاً كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكاً بحذف الهمزة ومتكاء بإشباع الفتحة كمنتزاح ومتكاً وهو الأترج
أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكاً من تكئ يتكأ إذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه عظمنه وهبن حسنه
الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل أكبرن
بمعنى حضن من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر أو ليوسف على حذف اللام أي حضن له من شدة
الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن أيديهن جرحنها بالسكاكين
من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيهاً له من صفات العجز وتعجباً من قدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو في
الدرج فحذفت الألف الأخيرة تخفيفاً وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام
للبيان كما في قولك سقياً لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشاً لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا
فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية لله مما توهم فيه ما هذا بشراً لأن هذا الجمال غير معهود
للبشر وهو على لغة الحجاز في إعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشرٌ بالرفع على لغة تميم وبشرى أي بعبد مشترى لئيم
إن هذا إلا ملك كريم فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة أو لأن جماله فوق
جمال البشر ولا يفوقه فيه إلا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل
أن تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني أو فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعاً
لمنزلة المشار إليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلباً للعصمة أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها
على إلانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره أي ما آمر به فحذف الجار أو أمري إياه بمعنى موجب أمري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن
وليكوناً من الصاغرين من الأذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغراً وصغاراً والصغير من صغر بالضم صغراً وقرئ ليكونن
وهو يخالف خط المصحف لأن النون كتبت فيه بالألف كنسفعاً على حكم الوقف وذلك في الخفيفة تشبيهاً بالتنوين قال

قال رب السجن • وقرئ بالفتح على المصدر أحب إلي مما يدعونني إليه • أي آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا إلى
العاقبة وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه وإسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن خوفنه مخالفتها وزين
له مطاوعتها أو دعونه إلى أنفسهن وقيل إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا وإنما كان الأولى به أن يسأل الله العافية ولذلك رد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر • وإلا تصرف عني كيدهن • وإن لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك إلي وتحسينه
عندي بالتثبيت على العصمة • أصب إليهن • أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل
إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تستطيبها وتميل إليها وقرئ أصب من الصبابة وهو الشوق • وأكن من الجاهلين
من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء
فاستجاب له ربه • فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف • فصرف عنه كيدهن • فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه
على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان • إنه هو السميع • لدعاء الملتجئين إليه • العليم • بأحوالهم وما يصلحهم • ثم
بدا لهم • ثم ظهر للعزيز وأهله • من بعد ما رأوا الآيات • وهي الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد
القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن • ليسجننه حتى حين • وذلك لأنها خدعت
زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه أو يحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على أن بعضهم
خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه • حتى • بلغة هذيل • ودخل معه السجن فتيان • أي أدخل يوسف السجن واتفق
أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يسماه • قال أحدهما • يعني الشرابي
إني أراني • أي في المنام وهي حكاية حال ماضية • أعصر خمرا • أي عنبا سماه بما يؤول إليه • وقال الآخر • أي الخباز • إني أراني
أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين • من الذين يحسنون تأويل الرؤيا
أو من العالمين وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا
بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه • قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله • أي بتأويل ما قصصتما علي أو بما
الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فإنه يشبه تفسير المشكل كأنه أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما إلى الطريق القويم
قبل أن يسعف إلى ما سألاه منه كما هو طريقة الأنبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والإرشاد فقدم ما يكون
معجزة له من الإخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير • قبل أن يأتيكما ذلكما • أي ذلك التأويل • مما علمني ربي

بالالهام والوحي ليس من قبيل التكهن والتنجيم • اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون • تعليل لما قبله

اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك • واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب • او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار

انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه

وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة • ما كان لنا • ما صح لنا معشر الانبياء • ان نشرك بالله من شيء

اي شيء كان • ذلك • اي التوحيد • من فضل الله علينا • بالوحي • وعلى الناس • وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم

ولكن اكثر الناس • اي المبعوث اليهم • لا يشكرون • هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم

بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر بالنعمة ولا يشكرها •

يا صاحبي السجن • اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار • أأرباب متفرقون

شتى متعددة متساوية الاقدام • خير ام الله الواحد • المتوحد بالالوهية • القهار • الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه

غيره • ما تعبدون من دونه • خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر • الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم • ما انزل

الله بها من سلطان • اي الا اشياء باعتبار اسامي اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون

الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما

تطلقون عليها • ان الحكم • في امر العبادة • الا لله • لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل

والمالك لامره • امر • على لسان انبيائه • الا تعبدوا الا اياه • الذي دلت عليه الحجج • ذلك الدين القيم • الحق وانتم

لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ

الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما

بالذات او بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي

العلم دونه • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • فيخبطون في جهالاتهم • يا صاحبي السجن اما احدكما • يعني الشرابي • فيسقي ربه خمرا

كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه • واما الآخر • يريد به الخباز • فيصلب فتأكل الطير من رأسه • فقالا كذبنا

فقال • قضي الامر الذي فيه تستفتيان • اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان

استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما • وقال للذي ظن انه ناج منهما • الظان يوسف ان ذكر

380

376

قوله جزاء احسن اعمالهم قال ابو حيان ... التقدير احسن جزاء الذين كانوا يعملون لان عملهم لا جزاء حسن بل جزاء احسن فجعل احسن جزاء فانتصاب احسن على المصدرية لاضافته الى مصدر محذوف وهو الوجه الثاني في كلام المص وقال الامام فيه وجهان الاول ان احسن صفة عملهم وفيه الواجب والمندوب والمباح فهو يجزيهم على الاولين دون الاخير قيل وعلى هذا يحتمل ان يكون بدل اشتمال من ضمير يجزيهم واورد عليه انه تأكد عن المقام مع انه فائدة لان حاصله اقتصار الجزاء على الواجب والمندوب ولا يخفى ركاكته وانه غير خفي على احد وقد يقال انه كناية عن العفو عما فرط منهم في خلال ذلك وفيه لان تخصيص الجزاء به يشعر بانه لا يجزى على غيره ثم في الثاني ان الاحسن صفة الجزاء اي يجزيهم جزاء هو احسن من اعمالهم وافضل وهو الثواب وقيل عليه انه اذا كان الاحسن صفة الجزاء كيف يضاف الى الاعمال وليس بعضا منها وكيف يفضل عليه بدون من ولا وجه لدفعه بان اصله مما كانوا الخ فحذفت من مع بقاء المعنى على حاله كما قيل اذ لا محصل له وقوله جزاء احسن اعمالهم قيل يحتمل ان يكون جزاء منونا منصوبا على المصدرية واحسن مفعول به وهو مضاف لما بعده والمقصود تقدير العامل الناصب لاحسن لان الفعل نصب الضمير فلا ينصب مفعولا اخر الا ان يجعل بدلا كما مر ولم يجز احسن الاعمال احسن جزاء الاعمال وليس المراد احسن هذه الاعمال المذكورة حتى يقتضي ان الجزاء على بعضها ويحتمل اضافة جزاء المعمول وهو احسن وهو كالاول في المعنى لكنه كان مجرورا فلما حذف انتصب وهذا ثاني وجهي الامام اقول هذا مما لا وجه له فان المصدر الواقع مفعولا مطلقا لا يعمل خصوصا في غيرما عمل فيه فعل فلا يصح ضربت زيد ضربا عمرا ولا يخفى ركاكته فان ...

قوله من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان
مفعول له محذوف تقديره امرهم به ان يوصل
بدل كلمة منه المجرورة ويحول العين من الرحم بيان لما
الموصولة فيه والموالاة والإيمان لا يستقيم جعله
بيانا لما لانه يفضل لا موصول ويحتمل ان المراد
به الفاصل بالحصر لا يجري في الامر فيسهل الاول
مراده والمتنعية عن الاثم والانبيا عليهم السلام
بالإيمان بهم وان ليس برعاية حقوقهم بل سائر
الحيوانات بما يطلب حقها وجوبا او ندبا
كان كل فيما امر الله ان يوصل من الارحام
والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين بسبب
الإيمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان الى
بيهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب
عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة
بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم
وعيادة مرضاهم وشاهدة جنائزهم ومن
مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء
في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة
والدجاجة انتهى ومن نعيم انه خارج عما امر
الله بوصل تقدم وهم وحوطا

[illegible]

[illegible]

وبقي إلى أن يطوى أو تأخر ولا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فإن ما يدل على قدرته
دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الأول فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلي خلفه عليه السلام فتقدم بعض
القوم لئلا ينظر إليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وإن ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولي
لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بإن لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على صحة الحكم
كما صرح به بقوله إنه حكيم باهر الحكمة متقن في أفعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من طين يابس يصلصل
أي يصوت إذا نقر تضعيف صل من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال أي كائن من حمإ مسنون
مصور من سنة الوجه أو مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان
أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو منتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فإن ما يسيل
بينهما يكون منتنا ويسمى السنين والجان أبا الجن وقيل إبليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان من شخص
واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الإنسان من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الأجساد
المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فإنها أقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الأرضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب
ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان
الحشر وهو قبول المواد للجمع والإحياء وإذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته
عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيي وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف
جسم آخر ولما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق
البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا وإضافة الروح إلى نفسه لما مر في النساء فقعوا له ساجدين أمر من وقع يقع فسجد الملائكة
كلهم أجمعون أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بالكل للإحاطة وبأجمعين للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة
وفيه نظر إذ لو كان كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا إلا إبليس إن جعل منقطعا اتصل به قوله أبى أن يكون مع الساجدين أي ولكن
إبليس أبى وإن جعل متصلا كان استئنافا على أنه جواب سائل قال هلا سجد قال يا إبليس ما لك ألا تكون أي غرض لك في أن لا تكون
مع الساجدين لآدم قال لم أكن لأسجد اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني وينافي حالي أن أسجد لبشر جسماني كثيف وأنا ملك روحاني

خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو أخس العناصر وخلقتني من نار وهي أشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والأصل وقد سبق
الجواب عنه في سورة الأعراف قال فاخرج منها من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة فإنك رجيم مطرود من الخير والكرامة فإن من يطرد يرجم
بالحجارة أو شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وإن عليك اللعنة هذا الطرد والإبعاد إلى يوم الدين فإنه منتهى أمد
اللعن فإنه يناسب أيام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل إنما حد
اللعن به لأنه أبعد غاية يضربها الناس أو لأنه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فأنظرني فأخرني والفاء متعلقة
بمحذوف دل عليه فاخرج منها فإنك رجيم إلى يوم يبعثون أراد أن يجد فسحة في الإغواء ونجاة من الموت إذ لا موت بعد وقت البعث
فأجابه إلى الأول دون الثاني قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه أجلك عند الله أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة
الأولى عند الجمهور ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولا بيوم
الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم
من ذلك أن لا يموت فلعله يموت أول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل على منصب إبليس لأن
خطاب الله له على سبيل الإهانة والإذلال قال رب بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لأزينن لهم في الأرض والمعنى أقسم بإغوائك
إياي لأزينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله أخلد إلى الأرض وفي انعقاد القسم بأفعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة
أولوا الإغواء بالنسبة إلى الغي أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام أو بالإضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن إمهال الله له وهو
سبب لزيادة غيه وتسليط له على إغواء بني آدم بأن الله تعالى علم منه ومن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون إلى النار أمهل أو لم يمهل وأن في
إمهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الألباب ولأغوينهم أجمعين ولأحملنهم أجمعين على الغواية
إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالكسر في كل القرآن
أي الذين أخلصوا أنفسهم لله قال هذا صراط علي حق علي أن أراعيه مستقيم لا انحراف عنه والإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص
المخلصين من إغوائه أو الإخلاص على معنى أنه طريق علي يؤدي إلى الوصول إلي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين تصديق لإبليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولأن المقصود بيان
عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم أو تكذيب له فيما أوهم أن له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فإن منتهى تزيينه التحريض والتدليس
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الأول يدفع قول من شرط أن يكون

المستثنى أقل من الباقي لإفضائه إلى تناقض الاستثناءين وإن جهنم لموعدهم لموعد الغاوين أو المتبعين أجمعين
تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد إن جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الإضافة إن جعلته اسم مكان فإنه لا يعمل
لها سبعة أبواب يدخلونها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون إلى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أو لأن أهلها سبع فرق
لكل باب منهم من الأتباع جزء مقسوم أفرز له فأعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع
للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ أبو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة وإلقاء
حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم إجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أو من المستكن في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة
لا تعمل فيما تقدم موصوفها إن المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فإن غيرهم مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين أو لكل واحد
عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص
وهشام وعيون بضم العين ادخلوها على إرادة القول وقرئ ادخلوها على أنه ماض فلا تكسر التنوين بسلام سالمين أو مسلما عليكم
آمنين من الآفة والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد
على درجات الجنة ومراتب القرب إخوانا حال من الضمير في جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير في آمنين أو الضمير المضاف إليه والعامل فيها معنى الإضافة
وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز أن يكونا صفتين لإخوانا أو حالين من ضميره لأنه بمعنى متصافين أو متقابلين حالا من المستتر
في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فإن تمام النعمة بالخلود
نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على
أنه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده
وفي عطف ونبئهم عن ضيف إبراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما أي نسلم عليك سلاما أو
سلمنا سلاما قال إنا منكم وجلون خائفون وذلك لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت أو لأنهم امتنعوا من الأكل والوجل اضطراب النفس
لتوقع مكروه قالوا لا توجل وقرئ لا تأجل ولا توجل من أوجله ولا تواجل من واجله إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل
للنهي عن الوجل فإن المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو إسحاق لقوله فبشرناها بإسحاق عليم إذا بلغ قال أبشرتموني

على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له ولد مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة
تبشرون او باي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على
ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففا على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء
قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين
من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة
ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها
المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج
الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا
بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان
استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم
اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل
الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم
وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن
الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال
القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره
واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك
بما فيه سرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون
فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم من قطع الليل واتبع ادبارهم

وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه
ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث
تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اي اوحينا
اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر
وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال
من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون
باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب
الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين
عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم
قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما
اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي عليه الصلاة والسلام وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص
به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين
خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة
يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها سافلها عالي المدينة او عالي قراهم
سافلها فصارت منقلبة عليهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه
القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته
وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب
الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم
بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني
ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد

بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقبها
وشربها ودرها أو ما نصب لهم من الأدلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها أو
من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة
واستكثار الأموال والعدد وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور
فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء وإزاحة فسادهم من الأرض وإن الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح
الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف إن ربك هو الخلاق الذي خلقك و
خلقهم وبيده أمرك وأمرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل إليه ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم وقد علم
أن الصفح اليوم أصلح وفي مصحف عثمان وأبي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات
وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل
التوبة وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الأسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية أو الثناء فإن كل ذلك
مثنى تكرر قراءته وألفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والإعجاز أو مثن على الله بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه
الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن أو كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف
الكل على البعض أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع فمن عطف أحد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك
طموح راغب إلى ما متعنا به أزواجا منهم أصنافا من الكفار فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب
بالذات مفض إلى دوام اللذات وفي حديث أبي بكر من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا وروي أنه عليه السلام وافى بأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز
والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله
فقال لهم لقد أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا وقيل إنهم المتمتعون به
واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل إني أنا النذير المبين أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم
إن لم تؤمنوا كما أنزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي أنزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون
هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول فأهلكهم الله يوم بدر أو الرهط الذين

اقتسموا أي تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فإنه بمعنى
أنزلنا إليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل
مخالف لهما أو قسموه إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير الأولين أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على
أن القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن إلى آخره اعتراضا يمد لها الذين جعلوا القرآن عضين
أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء وقيل فعلة من عضهته إذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
العاضهة والمستعضهة وقيل أسحارا وعضين جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم
أجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم أو النسبة إلى السحر فنجازيهم عليه وقيل هو عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر
به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا أو فافرق به بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والراجع
محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع وأعرض عن المشركين فلا تلتفت إلى ما يقولون إنا كفيناك المستهزئين بقمعهم وإهلاكهم
قيل كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب
يبالغون في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق
بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومأ إلى أخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى ومات وأشار إلى أنف عدي فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل
ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات وإلى عيني الأسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف
يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك
فسبح بحمد ربك فافزع إلى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك أو فنزهه عما يقولون حامدا له على أن
هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام أنه إذا كان حزبه أمر فزع إلى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين أي الموت فإنه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا
ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه
واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك
فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم
ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتى امر الله وثب النبى ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحى او القرآن
فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى علم الرسول ما تحقق
موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل
وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا
بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصى
بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحى الدال على القول او مصدرية
فى موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحى بواسطة الملائكة وان حاصله
التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التى
بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك
فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون
منها او مما يفتقر فى وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد
لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الشكل والوضع فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى العظام وهى
رميم روى ان ابى بن خلف اتى النبى بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله يحيى هذا بعدما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم
وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقى
البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم
والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات الما

كولة فعلى سبيل التداوى والتفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون
تخرجونها بالغداة الى المراعى فان الافنية تتزين بها فى الوقتين ويجل اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها
تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه
وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق
الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته
بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اى لتركبوها
ولتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب
واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا فى موقع الحال من احد الضميرين اى متزينين
او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية
مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا
او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر
وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة
يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ومنها جائر
مائل عن القصد وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر
انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة
للاهتداء هو الذى انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به
وتقديمها يوهم حصر الشرب فيه ومنه شجر ومنه يكون شجر
يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل فى اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون
من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه
سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون

على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فتنشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة
وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال
والطبايع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد
والانداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها
حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين
النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها
من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء
والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا
من الدلالة الظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق
فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطبايع والهيئات والمناظر ليس الا
بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك
ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك
والثوري على ان من حلف ان لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى
ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم
فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو
شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها
ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي
جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان
من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت
الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد
على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او

الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري
والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة والنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير
لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير
للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة
الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق
شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجروها مجرى اولي العلم لانهم سموها
آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم
عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان
وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها
لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف
باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اي الآلهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلثها بالياء
لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق وبين من لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم
صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود
اموات هم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات
لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي
ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة
الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة
فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا
للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك

على ثبوت الآخرة لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل
انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع الرسول واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون
عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على
تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة اي قالوا ذلك اضلالا للناس ليحملوا
اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال الذين يضلونهم وهو حصة
التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا و
يميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله
فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم
واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه
خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي اضافه الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم
تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون اي تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم
اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب
على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء
وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا
واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به
القول الدال على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية
استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في عقدنا
واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل
ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة

روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا ما قالوا واذا جاء
المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافأة في الدنيا ولدار الآخرة خير اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة
للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت
لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن
من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء
يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم
وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم
لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر
بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك
القيمة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله
بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف
او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين
بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها
لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب
عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ
الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هدايه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب لا مطلقا بل باسباب
قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله
كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة
اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على تحقق الضلالة وثباته بفعل الله

وارادته من حيث انهم قسم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله
وهو المعنى من حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يُهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم
بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا
التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا
مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث
مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته
بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه بين الامر فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم
الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث
المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والمبطل بالثواب والعقاب انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن
له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس فيكون عطفا
على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم
الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب
وعمار وياسر وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة
او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له
خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا
ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين
صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا
اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليهم على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكر

في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على
انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة الا بشرا واما قوله جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء
وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال وقد روي انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل على صورته التي هو عليها مرتين
وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي بالمعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا
ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
اي حالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم او على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون
على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم
في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه
كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افأمن الذين مكروا السيئات اي المكرات
السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف
الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم
اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب
وهم متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه
قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في
اشعارهم قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر
عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث
لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا
فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيأ ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة
وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأ بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد
منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه
في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار

بقاربه حيث تختلف الأوقات لكثرة الظل ويحسب البعد من الظلال ... وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله

الظلال لأنها في معنى الجمع والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة

على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد والأجرام في أنفسها أيضا داخرة أي صاغرة منقادة لأفعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو

لأن من جملتها من يعقل أو لأن الدخور من أوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكواكب تظهر منه

آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله الجانب الغربي المقابل له فإن الظلال في أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض

ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لإرادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وأمره طوعا ليصح إسناده إلى عامة

أهل السموات والأرض وقوله من دابة بيان لهما لأن الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان في أرض أو سماء والملائكة عطف على المبين به

عطف جبريل على الملائكة للتعظيم أو عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال إن الملائكة أرواح مجردة أو بيان لما في الأرض والملائكة تكرير

لما في السموات وتعيين له إجلالا وتعظيما أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع

القبيلان أولى من إطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه أن يرسل عذابا من فوقهم

أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لأن من خاف الله

لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال

الله لا تتخذوا إلهين اثنين ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه أو إيماء بأن الاثنينية تنافي الألوهية كما ذكر الواحد

في قوله إنما هو إله واحد للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلهية أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية فإياي فارهبون

نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والأرض

خلقا وملكا وله الدين أي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من أنه الإله وحده والحقيق بأن يرهب وقيل واصبا من الوصب أي وله الدين

ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أفغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال

وما بكم من نعمة فمن الله أي وأي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول

فإن استقرار النعمة بهم يكون سببا للإخبار بأنها من الله لا لحصولها منه ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون فما تتضرعون إلا إليه والجؤار رفع الصوت

في الدعاء والاستغاثة ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم وهم كفاركم بربهم يشركون بعبادة غيره هذا إذا كان الخطاب عاما

فإن كان خاصا بالمشركين كان من

ذلك الا اجتهادا وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين. اذكرني عند ربك: اذكر حالي عند الملك كي يخلصني
فانساه الشيطان ذكر ربه: فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه
او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث
في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء
فلبث في السجن بضع سنين: والبضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع. وقال الملك اني ارى سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف: لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت
المهازيل السمان. وسبع سنبلات خضر: قد انعقد حبها. واخر يابسات: وسبع اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها
ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على
سمان لانه نقيضه. يا ايها الملأ افتوني في رؤياي: عبروها. ان كنتم للرؤيا تعبرون: ان كنتم عالمين بعبارة
الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا
عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم
الفاعل او لتضمين تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا. قالوا اضغاث احلام: اي
هي اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا
للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة. وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين:
يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فكانه مقدمة
ثانية للعذر في جهلهم بتأويله. وقال الذي نجا منهما: من صاحبي السجن وهو الشرابي. وادكر بعد امة: وتذكر يوسف بعد
جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم الله عليه بالنجاة وامه اي نسيان
يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول. انا انبئكم بتأويله فارسلون: اي الى من عنده علمه او
الى السجن. يوسف: اي فارسلوه الى يوسف فجاءه فقال يا يوسف ايها الصديق: وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ
في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه. افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن

سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده
او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما
لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا بعلمهم قال تزرعون سبع سنين دابا اي على عادتكم المستمرة
وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا
بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم
فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون في تلك
السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على
المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة
الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه
ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع
الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في سني الخصب ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء
الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به فلما
جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر
الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى
لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله
ان يفتش عن حالهن تهيجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة
للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد
بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن

دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة
اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت
الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت
عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد
رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف
المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط
كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه
وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء
وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة
والضرورة وظلالهم بالعرض ان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها
بالمد والتقلص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال
وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب
وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي
امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه
ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على ان يجلبوا اليها
نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم
اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك
وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم
خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا

العبادة كما استحقه ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء
أي لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد القهار
أي المتوحد بالألوهية الغالب على كل شيء أنزل من السماء ماء من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فإن المبادي منها فسالت
أودية أنهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لأن المطر يأتي على
تناوب بين البقاع بقدرها أي بمقدارها الذي علم الله أنه نافع غير ضار أو بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا
رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس
على وجه التهاون بها إظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي أو متاع كالأواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك
بيان منافعها زبد مثله أي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء أو للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي
ويوقدون بالياء على أن الضمير للناس وإضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فإنه مثل الحق في إفادته وثباته
بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه
في منافعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة
ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فأما الزبد فيذهب جفاء يجفأ به
أي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد وأما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث
في الأرض ينتفع به أهلها كذلك يضرب الله الأمثال لإيضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى
الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل
للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة أو الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو
على الأول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين أولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بأن يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء
ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو أعمى
عمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لإنكار أن تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل إنما يتذكر أولو الألباب ذوو العقول
المبرأة من مشايعة الإلف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا
بلى أو ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص

والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء ويندرج في
ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون
أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه
لا لجزاء وسمعة ونحوها وأقاموا الصلاة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرا
لمن لا يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان
أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها أولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة والجملة
خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات
عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن
صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه
والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة
تعلو بالشفاعة وأن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة
في أنسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب
المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم أو بمحذوف
أي هذا بما صبرتم لا بسلام فإن الخبر فاصل والباء للسببية أو البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم
فسكن العين بنقل كسرتها إلى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابل الأولين من بعد ميثاقه
من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض بالظلم وتهييج الفتن
أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا أي أهل مكة بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحياة الدنيا
في الآخرة في جنب الآخرة إلا متاع إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا
ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا
لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي إليه من أناب أقبل على

الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء
ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات
الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر
رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات
الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب
قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب
كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع
ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم
انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك
اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن
فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في
نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت
من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان
هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل
ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع
او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى
هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة
لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي اي
بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد
ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم

والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من
قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت
واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما
أو ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد إليه الرسول فأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم
العزيز أني لم أخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب
عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا
يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتأكيد لأمانته
ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ نفسي أي لا أنزهها تنبيها على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل إظهار
ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما قال ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين
هممت فقال ذلك إن النفس لأمارة بالسوء من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح
في أثرها كل الأوقات إلا ما رحم ربي إلا وقت رحمة ربي أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء
منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف وأضرابه
وقرأ نافع والبزي بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الإدغام إن ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء
بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني
به أستخلصه لنفسي أجعله خالصا لنفسي فلما كلمه أي فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء
قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روي أنه لما خرج من السجن اغتسل
وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فأجابه
بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها
فأجلسه على السرير وفوض إليه الأمر وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء

اي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء. قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه. وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبئ فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع. فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ او يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يناله مكروه. قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وانتصاب حافظا على التمييز وحافظا على قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمل الحال. وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين. ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء. قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا واعطانا متاعنا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه. وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا. هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا. ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد. قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني

وولده من افرايم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولّني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد رحمه الله ان الملك اسلم على يده. وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه. وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام. ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني بأخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم هنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم. الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم. فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي

الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير
لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به
الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول
من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم
كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها
العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله
من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا
ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص
كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم
اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب
فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء
منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه
بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر
وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم
فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال
لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال
من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس
بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا
يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل وجعل على حذف جواب فلما
تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان

قوله كقولهم للمسوم يا خيل الله اركبي وهو من احسن المجاز والطفه كان الاية
والكتب في الاصل لا يراد بي ويستعمل للفرسان والحديث صحيح مروي عن سعيد بن جبير
رضي الله عنه ورواه الطبري في غيرها عن قتادة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث مناديا ينادي
يوم الاحزاب يا خيل الله اركبي واخرجه العسكري في الامثال عن انس بن حارثة بن النعمان
انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اي اشر في بالبشارة فنعالة فنودي يا خيل الله اركبي فكان
اول راكب اول فارس استشهد رضي الله عنه وفي الاية والحديث مجاز او تقدير لكن
في الاية المعنى المراد بقوله انكم لسارقون لم يتعارف اذ قيل اركبي دون اركبوا
قوله وقيل جمع عير بفتح العين ويكون الياء وصوابه حمار وعلى هذا اصله عير بضم العين
والياء فاستثقلت الضمة على الياء فخففت ثم كسرت العين لتقل الياء بعدها كما في
بيض جمع ابيض وقوله تجوز به لقافلة الحمير [illegible] حيث قال وقيل هي
قافلة الحمير ثم تجوز فيه لكل قافلة عيرها قوله اي شيء ضاع منكم يشير الى
ان ماذا في محل نصب بتفقدون قال الراغب الفقد عدم الشيء بعد وجوده
فهو اخص من العدم فانه يقال له ولما لم يوجد اصلا والتفقد والتعهد بمعنى لكن حقيقة
التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المتقدم وما ذكره حاصل
المعنى وما تقدم الكلام قريبا وقوله التفقد غيبة الشيء [illegible] كما ذكرنا
به لا انه لغة [illegible] وجعل معنى الغيبة على انه مصدر مجهول [illegible]
فلا يرد عليه ان التفقد العدم او طلب ما غاب وما ذكره المعنى ليس بشيء [illegible] وقوله
اذا وجدته فقيدا فالافعال للوجدان وهو احد معانيه [illegible]
فيه قوله وقرئ صاع وصوع اي الصواع يذكر ويؤنث وقراءة العامة [illegible]
[illegible] الا صواع بوزن غراب بالعين المهملة وقراءة ابن جبير والحسن
كذلك الا انها بالغين وقرئ صواع بكسر الصاد وقرئ صاع فهي ثمان قراءات [illegible]
منها واحدة وهي الاولى وقوله صواغ من الصياغة [illegible]
وكذا القراءات على الاعجام كلها من الصياغة وعلى قراءة صوغ بالفتح فهو مصدر
اريد به المصوغ قوله جعلا له الجعل بالضم ما يعطى لشخص في مقابلة عمل
والكفالة [illegible] الشيء الذي يعطى [illegible] لمن جاء به [illegible] سارقه [illegible]

قوله واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اى هو بعينه علم زائد على الذات وهم المعتزلة ومن تبعهم وهو نفى ان الصفات عين الذات لا عين ولا غير وحاصل استدلالهم انه لو كان له صفة علم زائدة على ذاته كان ذا علم اى علم لا اتصاف به وكل ذى علم فوقه عليم فيلزم ان يكون فوقه اعلم منه عليم آخر وهو باطل والجواب عنه بمنع الملازمة وان المراد بكل ذى علم المخلوقات من ذوى العلم من الملائكة والثقلين لان الخلق لا ان انتزع وهذا اثبات لسند المنع وقوله ولان العليم هو الله يعنى انه صيغة مبالغة معناها اعلم من كل ذى علم فتعين ان المراد به ما يقابل فيلزم كونه من الخلائق لئلا يدخل فيما يقابله قوله ولانه لا فرق الخ وجه آخر للتخصيص وهو جواب بطريق النقض بانه لو صح ما ذكره المستدل لزم ان يكون عالما لا تصافه بمعناه وصحة هذا المثال فيلزم على تسليم دليله ان لا يكون عالما الا ان يكون فوقه من هو اعلم منه فان اجابوا بتخصيصه فالآية مثله وهذا انما يتم اذا كان هذا المثال مسلما عندهم كذا قيل ويدخل فى تحريره نسبة هذا وهو نقص لما ذكره فالزموا به قوله ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل اتوا بكلمة ان لعدم تحققهم انه بمجرد خروج السقاية من رحله وقد وجدت بضاعتهم قبله فى رحالهم ولم يكونوا سارقين وكما قيل لم لا ابنك سرق فبناء على الظاهر وعدم الحقيقة ويسرة حكاية الحال الماضية والمعنى انه كان سرق فليس ببدع جواب منه من اخيه والعرق نزاع وقيل انهم جزموا بذلك وان المجرد التشبيه وقوله منا اى بما بعنى احق علمه والنطقة بكسر الميم ما ينطق به اى ما يشد فى الوسط وتخفى يعنى انه نحفظها عنها وتجرد منه بالمد والهاء والزاء المعجمة اى يشد وسرق يعنى كبر وصار شابا مستغنيا عن الحضانة والعناق بفتح العين المهملة انثى المعز والقاه فى الجيفة اى على المزبلة وقيل انما اعطاه السائل بيضة قوله فى عطف السائل اى اعطاه له والعلم انما ذكر

او كان بغية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه الصلوة والسلام يا خيل الله اركبى وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اى شىء ضاع منكم والفقد غيبة الشىء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين فى ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه اى جزاء سرقته اخذ من وجد فى رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو كذلك نجزى الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذى علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق

بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن
يوسف عليه السلام وتحبه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام ان ينتزعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص
عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان
في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها او اجابة او الكلام
او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها
والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة
او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها
العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه
ثكلان على اخيه الهالك مستانس به انا نريك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير
عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدا مكانه
انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة ورضاه عليه
فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استياسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة
خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي
واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون او يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل من قبل هذا
ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا
ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر
من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع
او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه
فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من

من نجابته فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه كان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل
من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا
ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق او سُرِّق ودس الصاع في رحله او
ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية
التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا
فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم
وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه والا فما
ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا
بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيره وتولى عنهم واعرض
عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة
والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات
وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه
راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن
لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف
والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم
مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه
او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتأ
تذكر يوسف اي لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات
فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي

قوله التحسس طلب الاحساس هو اصل معناه
والمراد لازمه وهو التعرف وذكر التحفظ التفتيش
لانه طريقه وقيل التحسس طلب الادراك بالحس
مرة بعد اخرى وانما علم يعقوب عليه السلام بالحس
للرؤيا في منامه او اخبره الملك او لما تفرس
مما ذكر لهم لما هو عليه لانه ليس من
الفراسة قوله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه
الروح بالفتح اصل معناه التنفس كما قال الراغب
ثم استعير للفرج كما قيل لنفس من النفس
وقرئ من روح الله بالضم وفسر بالرحمة على انه استعارة
من معناها المعروف لان الرحمة سبب الحياة
كالروح واضافتها الى الله لانها منه وقال ابن
عطية معناه لا تيأسوا من حي معه روح الله
الذي وهبه فان كل من بقيت روحه يرجى
وفي غيره ما قد وارت الارض فطمع قوله بالله
وصفاته لان سبب اليأس عدم التصديق
بالصانع وصفاته الكمالية وفيه دليل على ان
اليأس كفر بل هو ثابت بدليل آخر قوله بعد
ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية بيان لرجوع الواقع
قوله شدة الجوع هذا احسن من تفسير الضر
له بالهزال وهذا اشارة الى السنة اصولية
وهي الامن من مكر الله واليأس من رحمته كبيرة
او كفر قولان مشهوران وفي جمع الجوامع وشروحه
كلام مفصل فيهما فراجعه

اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين
كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله
لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه
ما لا تعلمون بنوع من الالهام من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا
يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما
والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي
العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط في شيء من الاحوال
فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة
مزجاة رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا
وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق
علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء
او تختص بنبينا صلى الله عليه وسلم ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام
في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغي به ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم
الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة
عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه
من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه
وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء
وكان لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشأنه وادخالا له في قوله
قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات او عن المعاصي فان

فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله
لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك
قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض
ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم
بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم واعتذر بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر
والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام
ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع
بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان علي وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا
يرجع بصيرا اي يصر بصيرا وأتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر
وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به
يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز
مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لولا انه قريب قالوا اي الحاضرون
تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه
فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح
البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني
اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله
او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه
ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة
الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة
ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين

حتى نزل جبرائيل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح
فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم. فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليهم رواحل واموالا
ليتجهزوا اليه بمن معهم واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين
رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى
آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك
ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع
خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم
يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه والاخوة والرفع مؤخر
عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل التي رأيتها ايام الصبى
قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء
بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له
اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل
كل شيء في وقته على وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما ادخله خزينة القرطاس
قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرائيل قال اوما تسأله
قال انت ابسط مني اليه فسأله فقال جبرائيل الله امرني بذلك لقولك اني اخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني
رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا
للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى
براسه انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما
اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا

اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاش يوسف بعده
ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه
حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم
وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب • ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول
وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما
والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب
وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه
وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا • وما
اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم • بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر • وما
تسألهم عليه على الانباء او القرآن • من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار • ان هو الا ذكر عظة من الله • للعالمين
عامة • وكأين من آية • وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال
قدرته وتوحيده • في السموات والارض يمرون عليها • على الآيات ويشاهدونها • وهم عنها معرضون • لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤن الارض
وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة • وما يؤمن اكثرهم بالله • في اقرارهم بوجوده
وخالقيته • الا وهم مشركون • بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر
الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب • افأمنوا ان تأتيهم
غاشية من عذاب الله • عقوبة تغشاهم وتشملهم • او تأتيهم الساعة بغتة • فجأة من غير سابقة علامة • وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها • قل هذه سبيلي • يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا
الى الله وقيل هو حال من الياء • على بصيرة • بيان وحجة واضحة غير عمياء • انا • تأكيد للمستتر في ادعوا او على بصيرة لانه حال
منه او مبتدأ خبره على بصيرة • ومن اتبعني • عطف عليه • وسبحان الله وما انا من المشركين • وانزهه تنزيها من الشركاء •

417

وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحي اليهم
كما يوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى
لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل
والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار
الحال الآخرة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية
محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم
لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم
ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول
للمرسل اليهم والثاني للرسل اي ظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس
ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به
المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما
اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له
اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم
لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي
الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني
الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون
يصدقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله
وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك
الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب
عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى
وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره
مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ
وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم
وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود
الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد
وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات
ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع
في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره
وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك
يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها
وتتحققوا كمال قدرته وغير ذلك فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو
الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت
من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا
واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي جعل فيها

والاتباع والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله الحال والعامل
فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز المغفرة قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او
اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا
العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عنادا و
اقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب
او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته
وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه
قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال
الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع
وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا
حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأة ولدت بطونا في كل بطن
خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان
جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار
بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له
اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي
على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل
طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من
في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة
بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له من اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب
مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف

من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل
النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها
وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون
الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في
الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في
النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه
مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها
واحد وغير صنوان متفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها
مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل
ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت
الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل
على كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل
في اذا محذوف دل عليه أإنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم
مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط
الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ما هددوا به
من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا
حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت
الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع

وانثاه البالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين
من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له
او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات
وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية
والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا راد له
والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو
الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التأويل
بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او من المخاطبين على اضمار ذو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل
يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف
السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيصيحون سبحان الله والحمد لله
او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما
سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف
الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول
الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل
وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله وقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت
في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة المكايدة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا
تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير
القياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة
والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموسى الله احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون

قوله والمراد بالحقين يعني دعوة شديد المحال اولا دعوة الحق وعدم الباطل
لمناسبتهما لما قبلهما واتصالهما به فان كان سبب نزول الآية اربد وعامر
فظاهر لان اصابته بالصاعقة من حيث لا يشعر من مكر الله به ودعوة
دعاء النبي عليه السلام وعلى صاحبه بقوله اكفنيهما بما شئت فاجيب فيهما
فكانت الدعوة دعوة حق فان لم يكن الآية من قصتهما فهو وعيد للكفرة
على مجادلتهم الرسول عليه السلام بحلول محاله بهم واجابة دعائه ان دعا عليهم واتصاله
ظاهر ايضا وقوله محال من الله اي كيد على طريق التمثيل اجابة دعوة
رسول في قوله عليه السلام فيهما اكفنيهما بما شئت وفيه لف ونشر فتأمل
وقوله ودلالة على انه على الحق ناظر الى تفسير الدعوة بالعبادة او الدعاء الى
الرسول عليه السلام على الحق وذلك وقوله وعيد الخ بيان لمعنى الجلالة على معنى
الدعوة الثاني وتهديدهم معطوف عليه بيان فتأمل على هذا الناظر الى تفسير
الدعوة الثاني وقوله او بيان ضلالهم الخ ناظر الى تفسير الدعوة الاولى وضلالهم
وفسادهم كونهم على الباطل وعبادة غيره تعالى قوله والذين يدعونها
اي الذين اما عبارة عن المشركين او مفعول تدعون محذوف لدلالة من دونه
عليه لان معناه متجاوزين له وتجاوزه بعبادتها او الاسناد عبادة الدعوة مجازا
الى الاصنام فعائد الموصول محذوف اي يدعونهم وقوله ضمير العقلاء لان
صفة الذين فيه تنزيل منزلة اولي العلم بناء على زعمهم

430

لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس

بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا

فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا

عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء

الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية

في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان عليه الصلوة والسلام لا يزال يبعث السرايا فتغير

حولهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية

حتى يأتي وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ

برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك

ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها

بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك

وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على الخبر المقدر للمبتدأ اي افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه

ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها

والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ام تنبئونه بل أتنبئونه وقرئ

تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها

وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية

الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا

اباطيل ثم خالوها حقا او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وصدوا بالفتح اي

وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد

يوفقه للهدى لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة اشق

لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون

صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري
من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة
المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما
ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير
وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من
اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون
بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة
ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يخالف ما حرفوه منها
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة
في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام
وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه
بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل
ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا
مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم
والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع
العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك
وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي بآية تقترح
عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه
استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات
مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا
ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده

وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك وكيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب
للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتي الارض ارض
الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن
تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل
والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر
على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيث
ما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان
المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله
وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل
المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب
علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم
اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو
شهيدا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف
فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثاني وقرئ ومن عنده علم بالحرف
والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر
عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون
الى يوم القيمة وبعث من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية الا الذين بدلوا الآيتين وهي احدى او اثنان او اربع او خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسال عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقي عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن

بضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وان الله انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم الدائرة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم او استعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى وتاذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول محذوف او مفعول تاذن على انه جار مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون

جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل
من الغيظ أو وضعوها عليها تعجبا منه أو استهزاء عليه كمن غلبه الضحك أو إسكاتا للأنبياء وأمرا لهم بإطباق الأفواه
أو أشاروا بها إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا تنبيها على أن لا جواب لهم سواه أو ردوها في أفواه الأنبياء
يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل أن يكون تمثيلا وقيل الأيدي بمعنى الأيادي أي ردوا أيادي الأنبياء التي هي مواعظهم
وما أوحي إليهم من الحكم والشرائع في أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه وقالوا إنا
كفرنا بما أرسلتم به على زعمكم وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه من الإيمان وقرئ تدعونا بالإدغام مريب موقع في الريبة
أو ذي ريبة وهي قلق النفس وأن لا تطمئن إلى شيء قالت رسلهم أفي الله شك أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام في
لا في الشك أي إنما ندعوكم إلى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه وأشار إلى ذلك بقوله فاطر السموات
والأرض وهو صفة أو بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم إلى الإيمان ببعثته إيانا ليغفر لكم أو يدعوكم إلى المغفرة
كقولك دعوته لينصرني على إقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فإن الإسلام
يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه
أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب
عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت سماه الله وجعله آخر أعماركم قالوا
إن أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله أن يبعث إلى البشر رسلا لبعث من جنس أفضل
تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه
المزية أو على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية أخرى تعنتا ولجاجا
قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب
لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على أن النبوة عطائية وأن ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى
وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله أي ليس إلينا الإتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه
وإنما هو أمر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم عمموا الأمر للإشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا ألا ترى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله أي

أي عذر لنا في أن لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم أن الأمور كلها بيده وقرأ أبو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت
ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف أكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون
فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن إيمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن
في ملتنا حلفوا على أن يكون أحد الأمرين إما إخراجهم للرسل أو عودهم إلى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لأنهم لم يكونوا على ملتهم قط
ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى إليهم ربهم أي إلى رسلهم لنهلكن الظالمين
على إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجراه لأنه نوع منه ولنسكننكم الأرض من بعدهم أي أرضهم وديارهم كقوله وأورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك أقسم
زيد ليخرجن ذلك إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف
الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامي عليه وحفظي لأعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد أي وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعود
للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للأنبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فإن كلهم سألوه أن ينصر المحق ويهلك
المبطل وقرئ بلفظ الأمر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد أي ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله
معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلين كان أوقع من ورائه جهنم أي من بين
يديه فإنه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك
ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل
من جلود أهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء أو حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب أن يسيغه فكيف
يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان أي أسبابه
من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله وما هو بميت فيستريح
ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ أي يستقبل في كل وقت عذابا أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس
الأنفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في أهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي أرسل الله عليهم بدعوة
رسوله فخاب رجاؤهم فلم يسقهم ووعدهم أن يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار مثل الذين كفروا بربهم

جملة اخرى محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهو على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم
وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرا نافع الرياح في يوم عاصف العصف
اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق
الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها وذهابها هباء لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته
الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل
ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي عليه السلام
والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرا
حمزة والكسائي خالق السموات ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات
والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطباع قدر ان يبدلهم بخلق آخر
ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم
يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا
لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الراي وانما كتب بالواو على
لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب
الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا
من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء
الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية
مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم
لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من
العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع
والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب والمحيص يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا

ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه
ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا
انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم
جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي
اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا
فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني
اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها
ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي
وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء
الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف
في ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت
اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرات منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من
نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه
من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان
ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم
ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون
هم الملائكة وقرئ وادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم
الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا
ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل
وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفرعها

اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتساب الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى
ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف
في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر
وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك
وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما
ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزلون
اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا
عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروي انه عليه الصلوة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه
في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام
ونبيي محمد عليه الصلوة والسلام فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا
بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة
خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد عليه الصلوة والسلام فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعم موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش
بنو المغيرة وبنو امية واما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم
في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين
لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب جهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان

كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة
الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار
وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق
العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون
ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول
بهما وانما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا
وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط والجواب ولان الامر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان
الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبا على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية
والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه
ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به
المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار
فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما
واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض
جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا
بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل
بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه سألتموه حال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال اي آتاكم من كل شيء
غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه
دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان
كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد

آمنا أي ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا أن المسؤول في الأول إزالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله
من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني وإياهم أن نعبد الأصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد وأما
أهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله وحفظه إياهم وهو بظاهره لا يتناول أحفاده
وجميع ذريته وزعم ابن عيينة أن أولاد إسماعيل عليه السلام لم يعبدوا الصنم وإنما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون
البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك
من إضلالهن وإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على ديني فإنه مني أي بعضي لا ينفك
عني في أمر الدين ومن عصاني فإنك غفور رحيم تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب
فلله أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا إني أسكنت من ذريتي أي بعض ذريتي أو ذرية من ذريتي
فحذف المفعول وهم إسماعيل ومن ولد منه فإن إسكانه متضمن لإسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فإنها حجرية لا تنبت
عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك
سمي عتيقا أي أعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤول إليه روي أن هاجر كانت
لسارة فوهبتها من إبراهيم عليه السلام فولدت منه إسماعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة
فأظهر الله عين زمزم ثم إن جرهم رأوا طيورا فقالوا لا طير إلا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا أشركينا في مائك
نشركك في ألباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلاة اللام لام كي وهي متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل
مرتفق ومرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصودة بالذات من إسكانهم
ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الأمر والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة كأنه طلب منهم الإقامة وسأل من الله أن يوفقهم
فاجعل أفئدة من الناس أي أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم
ولحجت اليهود والنصارى أو للابتداء كقولك القلب مني سقيم أي أفئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر
في أدؤر وأن يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة إذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه
فيه إخراجها بين بين ويحتمل أن يكون من أفد تهوي إليهم تسرع إليهم شوقا ووداداً وقرئ تهوى على البناء للمفعول من أهوى إليه
غيره وتهوى من هوي يهوى إذا أحب وتعديته بإلى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه

لعلهم يشكرون تلك النعمة فأجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية
في يوم واحد ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى إنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم بنا منا
بأنفسنا فلا حاجة لنا إلى الطلب لكنا ندعوك إظهارا لعبوديتك وافتقارا إلى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي
من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع إليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ إلى الله وما يخفى على الله
من شيء في الأرض ولا في السماء لأنه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته إلى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة وإظهارا لما فيه من آية إسماعيل وإسحاق روي أنه ولد له إسماعيل
لتسع وتسعين سنة وإسحاق لمائة واثنتي عشرة سنة إن ربي لسميع الدعاء أي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي إذا اعتد به وهو من أبنية المبالغة
العاملة عمل الفعل أضيف إلى مفعوله أو فاعله على إسناد السماع إلى دعاء الله على المجاز وفيه إشعار بأنه دعا ربه وسأل منه الولد فأجابه ووهب
له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها رب اجعلني مقيم الصلاة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف
على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه بإعلام الله أو استقراء عادته في الأمم الماضية أنه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب
دعائي أو تقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل أراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم إليه أهله فحذف المضاف وأسند إليه قيامهم مجازا
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله والمراد به تثبيته على ما هو عليه من أنه مطلع على أحوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه
خافية والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة أو لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بإمهاله وقيل إنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
إنما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن أبي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الأبصار أي تشخص فيه أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ما ترى
مهطعين مسرعين إلى الداعي أو مقبلين بأبصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا وأصل الكلمة هو الإقبال على الشيء مقنعي رؤوسهم
رافعيها لا يرتد إليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم وأفئدتهم هواء خلاء
أي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للأحمق وللجبان قلبه هواء أي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه
هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيامة أو يوم الموت فإنه أول أيام عذابهم
وهو مفعول ثان لأنذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا أخرنا إلى أجل قريب أخر العذاب عنا وردنا إلى الدنيا
وأمهلنا إلى حد من الزمان قريب أو أخر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل

جواباً للأمر ونظيره لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين. أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال
على إرادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت
ولعلهم أقسموا بطراً وغروراً أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديداً وأملوا بعيداً وقيل أقسموا أنهم لا ينتقلون إلى دار أخرى
وأنهم إذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة إلى حالة أخرى كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت. وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود وأصل سكن أن يعدى بفي كقر وغني وأقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري
مجراه كقولك سكنت الدار. وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم
من أخبارهم. وضربنا لكم الأمثال من أحوالهم أي بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي
هي في الغرابة كالأمثال المضروبة. وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لإبطال الحق وتقرير الباطل. وعند الله مكرهم ومكتوب
عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه أو عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وإبطالاً له. وإن كان مكرهم في العظم والشدة. لتزول منه الجبال
مسوى لإزالة الجبال معداً لذلك وقيل إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على أن الجبال مثل لأمر النبي ونحوه
وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى أنهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتاً وتمكناً من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول
بالفتح والرفع على أنها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ
وإن كاد مكرهم. فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وأصله مخلف رسله
وعده فقدم المفعول الثاني إيذاناً بأنه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله إن الله لا يخلف الميعاد وإذا لم يخلف وعده أحداً كيف يخلف
رسله. إن الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع. ذو انتقام لأوليائه من أعدائه. يوم تبدل الأرض غير الأرض بدل من يوم يأتيهم
أو ظرف للانتقام أو مقدر باذكر أو لا يخلف وعده ولا يجوز أن ينتصب بمخلف لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعده. والسموات
عطف على الأرض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله
بدلناهم جلوداً غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم
حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وأنس يحشر
الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى أبو هريرة
رضي الله عنه أنه عليه السلام قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً واعلم أنه لا يلزم على الوجه الأول

أن يكون الحاصل بالتبديل أرضاً وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الأرض جهنم والسموات الجنة على ما أشعر
به قوله كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وقوله كلا إن كتاب الفجار لفي سجين. وبرزوا من أجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته
وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الأمر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب
لا يغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار. وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد
والأعمال كقوله وإذا النفوس زوجت أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة
أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال وهو يحتمل أن يكون تمثيلاً لمؤاخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم.
في الأصفاد متعلق بمقرنين أو حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفاداً
يعض بساعد وبعظم ساق وأصله الشد. سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الأبهل
فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود أهل النار حتى يكون
طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع إسراع النار في جلودهم على أن التفاوت
بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل أن يكون تمثيلاً لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية
فتجلب إليها أنواعاً من الغموم والآلام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية
أو حال من الضمير في مقرنين. وتغشى وجوههم النار أي تتغشاها لأنهم لم يتوجهوا بها إلى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم
وحواسهم التي خلقت فيها لأجله كما تطلع على أفئدتهم لأنها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله تعالى أفمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم. ليجزي الله كل نفس أي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس
ما كسبت أي كل نفس مجرمة أو مطيعة لأنه إذا بين أن المجرمين يعاقبون لإجرامهم علم أن المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك
إن علق اللام ببرزوا. إن الله سريع الحساب لأنه لا يشغله حساب عن حساب. هذا إشارة إلى القرآن أو السورة أو
ما فيه من العظة والتذكير أو ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله. بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة. ولينذروا به عطف على
محذوف أي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز أن يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به
أنزل أو تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به إذا علم واستعد له. وليعلموا أنما هو إله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات
الدالة عليه أو المنبهة على ما يدل عليه. وليذكر أولوا الألباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم أنه سبحانه

ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى
كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بهما وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع
لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين
عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحها
مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان
المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى
التقليل فيه الابلاغ بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال
القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم
دعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد
فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد
اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها
صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اي وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير
امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون
ونظيره قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القرآن
لو ما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك

على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين
في دعواك ما ينزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة
وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تأتيكم بصور تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا
اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم
ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر
بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم
ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع
وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية
كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل
على ان الله يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك
الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في
المرجع ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من المفعول ولا يمنع ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت
سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا
عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون
او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت عن الابصار بالسحر من السكر
ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه
عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم
بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها
بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان

فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان
السمع اختلاس سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب
وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها
ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه
شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها
والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته
مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم
والملابس ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر
ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياكم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين
مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته
وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه
اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة
التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها
بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله
ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا
وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفي عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل
على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه
دون حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحياة بما
يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد
علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد

انکرهو بروجه محرر
مبلغ مزبور اوجيوز
تمننه وتعزير وتغليز
واسقاط ايدوب فيا
علاقه و بدخلم قالميوب
مناصفة شايع
بحثا مقدم
حوزف